مركز الكلمة للأبحاث والدراسات
قضايا اجتماعية

الطلاق ما بين قيود التدين وحرية الإنسان

هايدي حنا

جميع الحقوق محفوظة

يونيو ٢٠٢٣

الطلاق ما بين قيود التدين وحرية الإنسان

هايدي حنا

تقديم

يوصف عصرنا بأنه عصر انفجار المعلومات، وقد ساعدت السوشيال ميديا على انتشار هذه المعلومات بسرعة مذهلة.

وقد مر عالمنا عمومًا وبشكل خاص منطقتنا – الشرق الأوسط – بأحداث كثيرة وكبيرة وخطيرة غيرت أو كادت أن تغير شكل وحال المنطقة، بدايةً من الفوضى الخلاقة وأحداث ما سُمي بالربيع العربي، وما نتج عنهما من صعود تيار الإسلام السياسي وهجرة المسيحيين حتى أنه يقال إن نسبتهم أصبحت ٣٪ بعد أن كانت ٤١٪، بالإضافة إلى ما أصاب العالم من جائحة كورونا وتوابعها الصحية والاقتصادية والاجتماعية، إلى جانب ارتفاع نسبة الإلحاد في المنطقة العربية، حيث تقول إحدى الإحصائيات إن نسبة الإلحاد في بعض الدول العربية قد وصلت إلى ٦٣٪.

هذه الأحداث وغيرها أدت فيما أدت زيادة التشويش الذهني للمواطن العربي عمومًا والمسيحي خصوصًا والذي يعيش في مجتمع متعدد الثقافات يحاول تشكيل قيمه ومبادئه بحسب هذه الثقافات، والتي تكون أحيانًا مخالفة لما يؤمن به ويعتقد فيه.

وهذه السلسلة من الكتيبات هي بمثابة محاولة لمعالجة بعض القضايا الفكرية اللاهوتية والاجتماعية من منظور مسيحي كتابي.

ونرجو أن تنجح هذه المحاولات في إزالة حالة التشويش والحيرة التي أصابتنا.

د. ثروت صموئيل – مدير مركز الكلمة

المقدمة

ترددتُ كثيرًا قبل البدء في تناول هذه القضية الشائكة وخاصةً أنني من مؤيدي الاستقرار الأسري، وأنادي دائمًا بحياة السلام وسط الأسرة. فكيف بعد هذا أقدم بحثًا عن قضية تناقش إمكانية التفكك الأسري؟!

ولكن ما شجعني على هذه الخطوة هو نفس السبب الذي لأجله ترددت في كتابة هذا البحث، وهو خدمتي وسط الأسرة والذي اكتشفتُ من خلاله مآسي أسرية لا حل لها سوى الانفصال، فالبعض يعيشون تحت سقف واحد لكنهم لم يصبحوا جسدًا واحدًا بعد، والبعض قرروا الانفصال الفعلي لكن دون اللجوء لمحكمة الأسرة تجنبًا لمشوار طويل دون جدوى بسبب قانون الأحوال الشخصية للأقباط الذي وضعته الكنيسة والذي يقضي بعدم الطلاق إلا لسبب الزنا، والبعض قرروا اللجوء للمحكمة على أمل الحصول على حريتهم وقد استنزفت هذه الخطوة سنوات من عمرهم؛ منهم مَنْ حصل على طلاق مدني، لكنه محروم من أن يبدأ حياته مرة أخرى وفرصة ثانية له، لأن هذا الطلاق غير معترف به من الكنيسة، ومنهم مَنْ لا يزال ينتظر حكم المحكمة. وهناك فئة أخرى قررت أن تقوم بتزوير أوراق تغيير ملة، وآخرون كانوا أكثر جراءةً وقرروا ترك المسيحية ليس عن اقتناع، لكن لينالوا حريتهم ليس ألا، ناقمين على الكنيسة بل على المسيحية التي حكمت عليهم بالسجن حتى الموت في علاقة مؤذية.

هذا بجانب أنه قبل البدء في كتابة هذا البحث قالت لي زوجة منفصلة: "يا ترى ممكن البحث ده يحل مشكلتي ولا هافضل كده متمرمطة في المحاكم وعمري بيضيع مني بدون ما أعيش زيي زي أي واحدة ليها أسرة ومبسوطة؟"

ولوهلة بعد أن سمعتُ هذه الجملة قررتُ التوقف عن الاستمرار في البحث بسبب هذا السؤال، حيث أصابني الإحباط خاصةً أنني قرأتُ عدة كتب وأبحاث تناولت هذا الموضوع كُتّابها من كبار الباحثين مثل الدكتور القس فايز فارس، الدكتور القس إكرام لمعي، القس سامي حنين... وغيرهم من الأساتذة الذين ناقشوا هذه القضية ومع ذلك لم يتغير موقف الكنيسة حول قضية الطلاق وظلت كما هي. فهل بعد كل هؤلاء الباحثين من الممكن أن تهتز شعرة من مسئولي وضع قانون الأحوال الشخصية بالطائفة الإنجيلية بعد قراءة البحث الذي أنوي إعداده، هذا إن اهتم من الأساس أحدهم وقام بقراءته وتحليله؟!

ظلت أسئلة مثل هذه الأسئلة المحبطة ترن في ذهني، لكنني قررتُ المحاولة والاستمرار فيه، على الأقل يكفيني شرف المحاولة والتكلم بالنيابة عن هؤلاء المنكوبين بزيجات مؤذية والذين تملَّكهم اليأس واستسلموا لمصيرهم ليس عن اقتناع بل وهم بلا حول ولا قوة وليس في أيديهم أي حل يلجأون إليه، خاصةً إن كانوا من محدودي الدخل وغير قادرين على الدفع بالآلاف للحصول على الطلاق بطرق ملتوية.

وبعد قراءة الدراسات التي تم طرحها حول قضية الطلاق، قررتُ عدم التطرق إليها فقط من الناحية الكتابية لأن هذه النقطة تناولها مَنْ سبقوني بإسهاب، لكنني سوف أتطرق إلى هذا الموضوع من الناحية النفسية ومن حيث السلوكيات الشاذة ومدى أضرارها على الحياة الزوجية، بالإضافة للتطرق للأضرار التي تصيب الأطفال الموجودين وسط أسرة مفككة وخلافات مستمرة بسبب عدم قدرتهم على الترك، أو لأنهم يعيشون حياة الانفصال المقيَّد.

وصلاتي أن يكون هذا البحث خطوة تساعد الكنيسة على استيعاب المشكلة وليس مجرد كلمات مكتوبة كما كان الحال مع أساتذتي الذين سبق وتناولوا هذه القضية.

هايدي حنا

الفصل الأول
الدستور الكنسي حول قضية الطلاق

بالرغم أن البحث يركز أكثر على الطائفة الإنجيلية، لكن كان من المهم معرفة تشريع الطوائف الثلاث حول قضية الطلاق.

الطائفة الكاثوليكية

الزواج لديهم هو نظام أبدي، أي لا طلاق على الإطلاق حتى لعلة الزنا، لكن يوجد بديل بلطلاق وهو نظام الانفصال الجسماني[١] أي أن يعيش كل زوج بعيدًا عن الآخر لكن بدون طلاق. وقد وضعت الكنيسة هذا النظام علاجًا للحالات التي تستحيل العشرة فيها بين الزوجين.

الطائفة الأرثوذكسية:

قانون ٣٨ أجاز الطلاق في الحالات الآتية:

١- الزنا

٢- الخروج عن الدين المسيحي، أو تغيير الملة.

٣- غياب أحد الزوجين مدة خمس سنوات ولا يعلم شريك حياته عنه شيئًا.

٤- إذا تم الحكم على أحد الزوجين بالسجن لمدة سبع سنوات فأكثر، يحق للطرف الآخر طلب الطلاق.

٥- في حالة إصابة الزوج بمرض العنة، وهو العجز الجنسي عند الرجل يكون من حق الزوجة طلب الطلاق من زوجها إن كان مصابًا بالعجز الجنسي ومضت على إصابته ثلاث سنوات وثبت أنه غير قابل للشفاء وكانت الزوجة في مرحلة عمرية يُخشى عليها من الفتنة.

٦- في حالة إصابة أحدهما بمرض الجنون أو أي مرض مُعدي، من حق الطرف الآخر طلب الطلاق إذا كان مضت ثلاث سنوات على إصابته الجنون أو المرض المعدي وتم إثبات أنه غير قابل للشفاء.

٧- في حالات الاعتداء على الآخر وكان هذا الاعتداء مؤذيًا له ويعرض صحته للخطر، أو كان اعتداؤه متكررًا حتى لو لم يكن يبلغ قسوة الاعتداء إلى تهديد لصحة الآخر لكنه متكرر، جاز للطرف المجني عليه طلب الطلاق في الحالتين.

٨- النفور بين الزوجين: وينص هذا السبب على إجازة الطلاق في حالة إذا أساء أحد الزوجين معاشرة الآخر أو أخل بواجبه إخلالًا قويًا مما يتولد بسببه النفور بين الزوجين وانتهى بهم الحال للافتراق لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات متصلة.

٩- الرهبنة: وتم وضع شرطين لقبول الرهبنة كشرط للطلاق:

---

[١] أشرف شوق، **الزواج والطلاق في المسيحية**، (القاهرة: نظرة للمستقبل، ٢٠٠٨)، ص ٣٦.

الشرط الأول: أن تكون الرهبنة برضا الطرف الآخر.

الشرط الثاني: أن تكون الرهبنة تمت بعد استيفاء كل شروط الرهبنة المطلوبة وقبول الجهة الدينية لرهبانيته حيث أتم كل طقوس الرهبنة.

ظلت هذه الأسباب سارية في الكنيسة الأرثوذوكسية حتى تولى الكرسي البابوي البابا شنودة الثالث حيث أصدر المجلس الإكليريكي عام ١٩٧١ قرارين بابويين؛ القرار الأول: لا للطلاق إلا لعلة الزنا وإلغاء كل الأسباب السابقة، والقرار الثاني: عدم القبول بالزواج الثاني إلا إذا كان حكم الطلاق الصادر من المحكمة المصرية تم بناءً على الأسباب التي تعترف بها الكنيسة، أما في حالة الأسباب الأخرى أو أي سبب زمني آخر لا تعترف به الكنيسة فلن تعطي للمطلق تصريحًا بالزواج مرة أخرى.

الطائفة الإنجيلية:

في حوار مع القس عيد صلاح[٢] وهو أحد المشاركين في وضع قانون جديد للأحوال الشخصية للطائفة الإنجيلية بمصر، بالإضافة إلى أنه ممثل الطائفة لمناقشة القانون الموحد مع الطوائف المسيحية في مصر، شاركنا القس عيد بأن المادة ٣٦ في دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر تنص على ما يلي:

"نؤمن بأنَّ العائلة هي وحدة الهيئة الاجتماعية، وهي أساس لخير البشر. وأنَّ الزواج مرتب من الله فهو نظام يتضمن تعاقدًا دينيًا ومدنيًا. وأن شريعة الزواج، التي تقضي بالتزوج بواحدة في وقت واحد، وتحدد درجات القرابة بالدم أو بالمصاهرة الممنوع التزوج منها، وتوجب دوام ارتباط الزوجين مدى الحياة، هي مقررة في كلمة الله التي لا يحق للحكومة أن تسن قانونًا يخالفها. وأن العائلة المسيحية الحقيقية مؤسسة على الفكر الإلهي الأسمى عن الزواج، ومقدسة بالروح القدس، وقيمة على الديانة العائلية وإنَّه من واجبات الوالدين أن يكرسوا أولادهم لله ويهذبوهم أدبيًا وروحيًا لتكوين أخلاقهم. نؤمن بأنَّه لا يجوز الاستخفاف بأمر الطلاق لأنَّ قانون الزواج هو ارتباط رجل واحد بامرأة واحدة لمدة الحياة. وأنَّه حينما يكون الطلاق جائزًا فلا يتم إلا على يد سلطة مدنية مختصة. وأنه لا يجوز زواج المطلقين في حا ل ل حياة كل من الطرفين إلا متى كان الطلاق لسبب الزنا. وحتى في هذه الحالة لا يباح ذلك إلا للطرف البريء وحده."[٣]

ويضيف القس عيد أن الكنيسة بحسب هذه المادة تُجيز الطلاق في حالة الزنا، والزنا بحسب الدستور هو الزنا الفعلي والزنا الروحي، وحتى تغيير الملة لا تقبل به الكنسية الإنجيلية، حيث إن المجلس العمومي الإنجيلي للطوائف الإنجيلية المطبقة بمصر وضع سببين للطلاق:

"الطلاق هو فسخ عقد بين زوجين. لا يجوز الطلاق إلا بحكم من المجلس العمومي وفي الحالتين الآتيتين:

أولًا: إذا زنا أحد الزوجين وطلب الطلاق الزوج الآخر.

ثانيًا: إذا اعتنق أحد الزوجين ديانة أخرى غير الديانة المسيحية وطلب الزوج الآخر الطلاق.

وهنا نجد أن الدولة تمنح الطلاق بحسب لائحة ٣٨، أما الكنيسة البروتستانتية فلا تعترف بهذا الحكم وبالتالي لا تمنح تصريحًا للزواج مرة أخرى طالما أن الطلاق لم يتم بحسب الدستور الكنسي."[٤]

---

[٢] راعي الكنيسة الإنجيلية بعين شمس، القاهرة. وباحث غير متفرغ بمركز دراسات مسيحية الشرق الأوسط، كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة.

[٣] **دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر**، (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٥- ٢٠١١ - ٢٠١٩) ص٤٢ و٤٣.

[٤] **قانون المجلس العمومي الإنجيلي "للطوائف الإنجيلية"**، (القاهرة: الديار المصرية، ١٩٠٢) ص ٢٨.

ويكمل القس عيد حواره:

توجد ثلاثة تعريفات للزنا:

– زنا فعلي، وهذا صعب إثباته.

– زنا حكمي، وهو ادعاء طرف لمواقف مريبة على شريكه.

– زنا روحي، أي الخروج على الديانة المسيحية.

والتشريع الكنسي الإنجيلي يأخذ بالزنا الفعلي أو الروحي فقط، ولذا عندما تحكم المحكمة بالطلاق لأي سبب غير هذين السببين لا تعترف الكنسية الإنجيلية بالحكم. وهنا نجد مشكلتين:

الأولى، أن هناك الكثيرين الذين حصلوا على الطلاق لكنهم غير قادرين على الزواج مرة أخرى لأن طلاقهم ليس بحسب الدستور الكنسي.

الثانية، هي استغلال بعض الموثقين لعقد الزواج لهذه الحالات برفع تكلفة عقد الزواج في هذه الحالة.

وبسؤال القس عيد عن توقيت هذا التشريع وهل هناك إمكانية لتغييره خلال الوقت القادم، أجاب بأن هذا التشريع منذ ١٩٠٢، وقد شكَّلَ الدكتور القس أندريا زكي – رئيس الطائفة الإنجيلية – لجنة وكان من أعضاء هذه اللجنة القس عيد صلاح، وأوكل لها أن تقوم بعمل مشروع قانون الأحوال الشخصية. وبناءً عليه، قدمت اللجنة ثلاث أسباب يمكن فيها الطلاق وتعترف بها الكنيسة الإنجيلية بالإضافة للسببين السابقين. وهذه الأسباب هي:

– الضرب المبرح المؤدي إلى الموت.

– هجر الفراش لمدة ثلاث سنوات لو لم يكن لديهم أطفال، وخمس سنوات أن كان لديهم أطفال.

– العلاقة الشاذة مثل المثلية.

ولكن أغلب رؤساء المذاهب والمجامع لم يقبلوا بها تمسكًا منهم بالوصية الكتابية، لذا حتى الآن مستمر هذا القانون القائم من ١٩٠٢ دون تغيير.

وقد شاركنا القس عيد:

بالتأكيد لا نستطيع أن ننكر أن هناك مشكلة بسبب التمسك بأن الطلاق لا يجوز إلا بسبب الزنا حيث إن هناك مَنً يدعي على نفسه الزنا فقط للتخلص من زيجة فاشلة.

وقد أنهى القس عيد حواره بأنه هناك مشكلة بسبب الازدواج بين الحكم المدني والحكم الكنسي، ومن وجهة نظره يجب الحسم في هذه النقطة، فإما أن نتبع الحكم المدني وإما أن نتبع الحكم الكنسي. لقد كنا في البداية نتبع الحكم الكنسي خلال الدولة العثمانية ثم تحولنا لحكم مدني سنة ١٩٥٦ ميلاديًا، لكن الكنسية غير قادرة على إتباع الحكم المدني، وما يُصدِره الحكم المدني تعترض عليه الكنيسة إذا كان غير متفق مع دستورها. ومن هنا يحدث الازدواج والمشاكل الخاصة بقضايا الطلاق والزواج مرة أخرى. ولذا يجب إما احترام التشريع المدني بحيث ينطبق على الجميع أو نعود مرة أخرى للتشريع الكنسي.

بعد أن تجولنا في تشريع الكنيسة بصفة عامة حول قضية الطلاق، نجد أنه برغم استغاثة المنكوبين في هذه القضية وصراخ المنهكين بقيود زواج مؤذٍ لهم، لم تحاول الكنيسة تغيير قانون الطلاق منذ عام ١٩٠٢ بالنسبة للطائفة الإنجيلية، ومنذ عام ١٩٧١ بالنسبة للطائفة الأرثوذكسية، أما الطائفة الكاثوليكية فهذا القانون كان منذ بدايات الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، ولكن لا توجد مصادر تذكر تاريخًا محددًا لإصدار هذه القوانين.

الفصل الثاني
الزواج المسيحي عهد لا عقد

عندما خلق الله آدم وحواء وضع نظامًا لتلك العلاقة السامية به يعكس هدفه من الزواج وهو:

– أنهما صورة تعكس صورة الله: "فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ." (تكوين ١:٢٧)

– أنهما جسد واحد: "لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا." (تكوين ٢:٢٤)

لكن بعد الخطية تشوهت صورة الإنسان بالسقوط، فلم يصبح بتلك الصورة التي تعكس صورة الله على الأرض كما كان قبل السقوط مما أثَّر على سلوكياته وأخلاقياته، وامتد هذا التأثير السلبي على علاقته بشريك حياته. ومن هنا تشوهت العلاقة بين الزوجين ولم تصبح بحسب خطة الله من الزواج، حتى جاءت المسيحية لمعالجة تلك التشوهات التي حدثت بسبب السقوط لتعود العلاقة كانت، فأصبح الزواج المسيحي انعكاسًا لعلاقة السيد المسيح مع الكنيسة، ولذا فإن علاقة الزواج هي علاقة مقدسة تمثل عهدًا بين الزوجين تمامًا مثل العهد الذي بين السيد المسيح وكنيسته. وبالتالي فالزواج المسيحي هو ارتباط روحي يقوم به الزوجان أمام الله، فلا يعودان بعد شخصين بل يصبحان شخصًا واحدًا وجسدًا واحدًا. وبهذه الصورة نجد أن الطلاق يسبب تشويهًا في صورة كل منهما، حيث إن ارتباط الاثنين كجسد واحد يجعلهما كيانًا واحدًا إذ انفصلا انشطر وتمزق وتشوهت صورته.[٥] وبالتالي فإن الطلاق يتعارض مع فكرة الجسد الواحد، إلا في حالة واحدة وهو الزنا، حيث إن مبدأ الجسد الواحد قد تحطم بالفعل حيث دخل جسد ثالث بينهما بالزنا.

فما هي تشويهات الطلاق التي تصيب الأسرة؟

أولًا. بالنسبة للزوجين:

١– قلب مجروح يعاني من المرارة وغير قادر على الغفران: فبالتأكيد كون أن الزوجين يقرران الطلاق فهذا يعني أن هناك جروحًا قد نالت من كل منهما، سواء إهانات أو اتهامات أو إدانات. وكل هذا يجعل المرارة تتملك القلب، وبعد أن كانا حبيبين يصبحان عدوين. وقد يؤدي هذا لمحاولة كل منهما تشويه صورة الآخر ليؤكد لمجتمعه أنه هو الضحية والآخر هو الجاني، فينحصر عالمه في كيفية الانتقام. وكلما حاول الانتقام من شريك حياته السابق، سواء بتشويه صورته أو العناد بحرمانه من أطفاله، زادت بداخله المرارة والرغبة في الانتقام.

٢– نظرة المجتمع السلبية لهما: ما زال المجتمع ينظر للمطلق والمطلقة نظرة دونية بالإضافة لإصبع الإدانة والسؤال الذي يواجهه كل منهما: "مَنْ السبب في الطلاق؟" وكأنه ينقصه عبء فوق عبء ألمه من تجربة فاشلة مر بها وما زال يجني ثمارها. وهذه النظرة تجعله غير قادر على منح نفسه فرصة ثانية للحياة، حيث إنه في كل مرة يحاول الارتباط مرة أخرى يجد نفسه أمام نفس السؤال مع عدم الثقة فيه وفي كلامه فيواجه رفضًا بلا مبرر سوى أن له تجربة سابقة ويسبق اسمه لقب "مطلق/ة".

٣– معاناة المطلقة من نظرة الطمع فيها: يعتقد الرجل الذي يتعامل مع المطلقة أنها فريسة سهلة، فتجد المطلقة نفسها تعاني من ألم

---

[٥] سامي حنين، **المسيحية والطلاق أزمة بين حرفية النص والتطبيق**، (القاهرة: مطبعة سيوبرس، ٢٠١٠) ص ٩٧.

الطلاق وفي نفس الوقت عليها أن تكون قوية أمام شباك الصياد الذي يحاول رمي شباكه عليها لينال ما يريده منها، ليس حبًا لها ولكن طمعًا فيها. هذا بجانب أن كل تصرف وكل سلوك – حتى وإن كانت تقوم به وهي متزوجة – لا بد أن تعمل له ألف حساب كي لا يُترجَم بصورة خاطئة وتُتهم بأنها "ماشية على حل شعرها" بعد الطلاق، فهي لم تعد زوجة بعد بل أصبح يسبق اسمها لقب "مطلقة".

٤– الشعور بالوحدة: فالزواج هو احتياج أوجده الله منذ الخليقة حيث خلق حواء لآدم قائلًا: "لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ"، وعندما وجدها آدم أمامه فرح قائلًا: "هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ." وهذا كان هدف الله من هذه العلاقة السامية منذ البدء هو علاقة بها اتحاد وانتماء ليصبح الاثنان كيانًا واحدًا ويُكمل كل منهما الآخر. لذا عندما يحدث الطلاق يشعر كل طرف منهما أنه أصبح وحيدًا وعرضةً لليأس ومشاعر الضياع[٦] لشعوره أن أمرًا ما ينقصه لأن جزءًا منه انفصل عنه.

ثانيًا. بالنسبة للأبناء:

للأسف فإن صور تشويه الطلاق لصورة الزواج لا تقتصر على الزوجين فقط لكنها تمتد لتنال من أولادهما، ومن صور التشويه التي يعاني منها الأبناء ما يلي:

١– حرمانهم من جو الأسرة الدافئ: بعد الطلاق، نجد أن الطفل ممزق بين الأب والأم وينتقل من العيش مع والدته تارة للعيش مع والده تارة مما يؤدي لشعوره بالحرمان من الحياة في جو أسري دافئ، ويسبب له هذا أذىً نفسيًا ويُفقِده الأمان.[٧]

٢– شعورهم بالدونية وسط أقرانهم: عندما يسمع الطفل من أصدقائه قصصهم الجميلة وسط عائلاتهم "بابا/ماما" يشعر بالدونية وبأنه أقل من زملائه، فهو لا يعيش مع والديه مثلهم وليست لديه مثل هذه القصص. بل وتزداد هذه المشاعر عندما يسأله أقرانه عن والديه أو عندما يسألونه مثلًا: "بابا فين مش بيجي يوصلك ليه؟"، "ماما فين ليه ما حضرتش حفلة المدرسة؟" وهكذا يجد الطفل نفسه يواجه مواقف تفوق مرحلته العمرية. وهنا قد يلجأ الطفل للكذب كي يظهر أمام زملائه أنه مثلهم.

٣– نظرة المجتمع السلبية لهم: للأسف طلاق الوالدين معاناة يحصد ثمارها الأبناء وتمتد معهم حتى يصبحوا شبابًا/شابات وذلك عندما يرغبون في الزواج، حيث إن بعض الأسر ترفض ارتباط ابن/ابنة المطلقين بابنتهم/ابنهم خوفًا من تاريخ والديه/والديها، فيصبح الطلاق وصمة عار على الأبناء أن يجنوا ثمارها بأن يواجهوا رفض الأسر لهم، مما يجعلهم يقبلون الزواج بأي فتاة/شاب مهما كان سماته وصفاته لأن المجتمع فرض عليهم صورة ومكانة لم يكن لهم ذنب فيها، لكنهم يكونون أمام أمر واقع وعليهم حصاد ما لم تزرعه أيديهم.

٤– تشويه صورة الزواج في نظرهم، حيث إن صورة الزواج مرتبطة بنموذج الزواج الفاشل لوالديهم مما قد يتسبب في فشلهم في زيجاتهم لأنهم لم يروا الصورة المسيحية للزواج[٨] بل وقد يمتد التأثير للأحفاد. وهكذا تكون هناك دائرة من فشل الزيجات بسبب غياب الصورة النموذجية للزواج المسيحي.

مما سبق نجد أن الطلاق ليس أمرًا سهلًا ولا هو علاج للمشاكل الأسرية، هذا بجانب أن الحياة الزوجية تستحق من الزوجين تحمُّل العناء وبذل المحاولات ومواجهة الصعوبات وتحديها وعدم اتخاذ الطلاق وسيلة للهروب من المشاكل، فطالما هناك أمل في حل المشاكل فعلى الزوجين التمسك بهذا الأمل والسير في طريق إصلاح ما أفسدته المشاكل بينهما.

---

[٦] المرجع السابق.

[٧] المرجع السابق، ص ٩٦.

[٨] المرجع السابق.

الفصل الثالث

كيف يعيش هؤلاء المنكوبون تحت ثقل زواج مؤذٍ لهم؟

لن يشعر بألم الموقف سوى مَنْ اختبره، ومهما حاولتُ من وصف مشاعر كل امرأة ورجل يعيشون حياة الميت الحي، حيث حياتهم مرهونة بتعديل الدستور الكنسي في قضية الطلاق، مثل المحكوم عليه بالإعدام لكنه يأمل أن يترفق به القاضي ويحكم ببراءته، فلن أستطيع القيام بذلك. ولذا كان لا بد من مشاركتهم بخبراتهم بأنفسهم. ونظرًا لحساسية موقفهم، قررتُ عدم ذكر أسمائهم والاكتفاء بذكر أول حرفين من أسمائهم:

قالت ش.ح.: أنا زوجة منفصلة ولا يوجد أي تواصل بيني وبين زوجي الذي لا يتصل حتى ليطمئن على ابنه، وحتى مصاريفه تملص منها. ولأنني أريد أن أعيش في سلام دون اللجوء للمحاكم، صمتُ وأصرف أنا عليه، لكنني أعاني كثيرًا في الأمور الرسمية نظرًا لأنني منفصلة ولا يوجد أي مستند يثبت الانفصال، وهذا جعلني في مشكلة في التعامل مع الإجراءات الحكومية التي يحتاجها ابني، وذلك مثل التقديم في المدارس الذي يحتاج لوالده. حاليًا لأنه ما زال في مرحلة ابتدائي استطعتُ أن أحصل على الولاية التعليمية، لكن الولاية تنتهي بعد مرحلة التعليم الأساسي، فما العمل بعد ذلك؟

بالإضافة إلى أنه في المستقبل سوف يحتاج الجيش لأوراق رسمية لإثبات أنه وحيد، فيكف يكون هذا ولا يوجد أي تواصل بيننا وفي نفس الوقت ليس معي ما يفيد أننا منفصلان، فلا أنا مطلقة ولا أنا زوجة؟! حتى السفر خارج البلاد لابد أن يكون بإذنه، فهل يُعقل أنه حتى سفري لا يتم إلا بموافقة إنسان لا يعيش معي وليس بيننا أي تواصل؟! وللأسف بسبب قانون الأحوال الشخصية لكنيستنا، تضيع مني فرص للسفر قد تكون فرصة لحياة أفضل لي ولابني حيث العيش في مجتمع لا ينظر للمرأة المنفصلة نظرة احتقار، ولأبناء الأسر المنفصلة بأنهم أقل من غيرهم خاصةً في المستقبل عندما يرغب في خطوات الارتباط وتكوين أسرة، حيث إنه ليست كل الأسر بمصر تحبذ أن يرتبط ابنهم/ابنتهم بشريك حياة والداه منفصلان سواء كان هذا رسميًا أو غير رسمي.

لذا فلو كانت هناك فرصة للطلاق الرسمي لكانت كل المشاكل السابقة غير موجودة، ويكفي ما نعانيه من فشل في الزواج وتوابعه من آثار سلبية في مشاعرنا وكسرة للمرأة التي تشعر أن بيتها انهار رغم محاولتها لكنها مع شريك حياة أناني لا يهتم إلا بنفسه، وحتى ابنه لا يهتم به. كان الفشل مصيرها بلا رغبة منها في ذلك.

أما E.Z فقالت: أنا زوجة منفصلة من ثمان سنوات، وقد أقمتُ قضية طلاق، لكن أوراق الطلاق بالكنيسة تأخذ وقتًا طويلًا جدًا، وذلك لأن أسباب طلاق الطائفة الإنجيلية فيها ظلم بيّن وهو الزنا أو تغيير ديانة فقط، ولكن لنفرض أنه لا يوجد زنا لكن هناك إهانة، ضرب، بهدلة، طرف شريب خمر، طرف تارك المسئولية على الآخر بالكامل... هل يعيش الطرف الآخر معه ويقبل هذا الوضع المهين لأنها من وجهة نظر الكنيسة أسباب لا تعطي الحق للمتضرر في أن يطالب بالطلاق؟ فكيف يتعامل هذا الطرف الذي يعاني كل هذه المعاناة وكيف يتخلص من هذا الظلم؟ أعتقد أن الله نفسه لا يرضى بهذا الظلم وهذا التعسف، ووجهة نظري أن تجاهل الكنيسة لهذا كله وتمسكها بهذا القانون التعسفي ما هو إلا رغبة منها للحافظ على شكل الأسرة الخارجي فقط متجاهلة العلاقة بين الزوجين، فالمظهر لديها أهم. ليس هذا فقط بل أن تعسف الكنيسة تجعل الزوجين يسلكان في طرق غير مستقيمة

للحصول على ما يريدان لأنهما لا يستطيعان أخذ حقهما من الكنيسة بالطرق المستقيمة. مع العلم أن كل البلاد الأخرى تعطي هذا الحق للفرد، وخطأ الزيجة الأولى يمكن تصحيحه وبدء حياة أخرى أفضل مع شخص آخر.

وفي النهاية، يجب أن أؤكد أننا لا نسعى وراء فكرة الانفصال، فالآثار الجانبية السلبية لها كثيرة جدًا ومنها التحديات المالية، والتربية بمفردي، والرد على أسئلة أطفالي عن والدهم، لكن أحيانًا تضطرنا الظروف لهذا بسبب سوء الاختيار.

كما شاركنا س. ن.: أنا زوج منفصل مشكلتي أنها ما زالت زوجتي على الورق وما زالت على اسمي فحين تقوم بأي سلوك أو تصدر عنها أي كلمة يقول الناس: "زوجة فلان فعلت، قامت..."، لذا فالطلاق مهم حيث تنتهي علاقتي بها كزوجة، لنصبح أنا وهي حرين. بالمناسبة، أنا لا أفكر في الزواج مرة أخرى لكنني أريد أن أعيش بدون رابط وهمي، وأرغب في أن تنتهي هذه المرحلة، فالمشكلة هي أنه طالما لا يوجد قطع رسمي يوجد مَنْ يحاول أن يتدخل للصلح بيننا، وهذا لن يحدث، لأننا فعليًا في حالة طلاق نفسي وجسدي ونحتاج فقط لورقة تثبت هذا كي تتوقف تلك المحاولات.

لستُ مع الكنيسة أن تتدخل في تشريع الأحوال الشخصية، فدور الكنيسة هو الاهتمام بالحياة الروحية فقط، أما القانون يجب أن يكون خارج الكنيسة تاركة للإنسان أن يختار ما هو صالح له. وتدخل الكنيسة في القضاء والتشريع هو عودة لعصور الظلام عندما كانت الكنيسة تتحكم في رعاياها حتى في وضع القانون. إن الزواج علاقة اجتماعية لا دخل للكنيسة به سوى محاضرات تقدمها للمتزوجين لمساعدتهم في التواصل معًا، ويجب أن يكون العقد بعيدًا عن الكنسية، ولو كان الزوجان يرغبان في مباركة الكنيسة فهذا يكون بحسب راحتهما وليس إجباريًا عليهما. أما الانفصال فهو اختيار الإنسان الذي يعيش التجربة وليس الكنيسة. دور الكنيسة هو أن تعطي محاضرات عن الزواج قبل أخذ خطوة الزواج، وتوفر مشيرين. هذا هو دورها فقط، لكن قرار الاستمرار أو الانفصال هو قرار الزوجين فقط. وأرغب أن أوضح للكنيسة ألا تتوقع أن قرار الطلاق يكون قرارًا سهلًا على الأزواج بل هو من أصعب القرارات ولا يلجأ له الطرفان إلا إذا كانت حياتهما جحيمًا على الرغم أنه لا يوجد زنا، بل البعض يغفرون الخيانة ويستمرون لأن حياتهم فيها تفاهم وتواصل، والمشكلة كانت خيانة أحدهما فيقرر الآخر الغفران والاستمرار.

هذه الحالات هي عينات من آلاف يعيشون نفس الحياة الصعبة، وذنبهم الوحيد هو سوء اختيار شريك الحياة. وبالرغم أنه من حق كل إنسان أن ينال الفرصة الثانية لكن أصدر الدستور الكنسي الحكم عليهم بالموت والحرمان من الحياة.

يوجد الآن ما يقرب من ٣٠٠ ألف مسيحي[٩] ينتظروا الفرصة الثانية، بل وقد كشف المحامي بيتر النجار وجود ٢٥٪ حالات إشهار إسلام من المسيحيين للحصول على الطلاق.[١٠] فهل هذا هو ما تريده الكنيسة؟

وسؤالي لمسئولي وواضعي قانون الأحوال الشخصية بالكنيسة: ماذا سيكون موقفكم وما هي إجابتكم حينما يسألكم السيد وأنتم أمامه عند حسابكم عن رعيتكم وعن هؤلاء الذي بسبب تمسككم بحرفية القانون وجموده تركوه غير آسفين على إله قاسٍ لا يرى ما يعانون منه؟ فأنتم كنتم بالنسبة لهم صورة الله على الأرض، وبسببكم حكموا على الله.

ماذا ستكون إجابتكم عند محاسبتكم على هذه النفوس التي تركت السيد بسبب حرفية القانون الذي تمسكتم به؟

---

[٩] رفيق فاروق رئيس رابطة "٣٨"، **جريدة الوطن الإلكترونية**، تم الاطلاع عليها يوم ٣١ يناير ٢٠٢٣، متاح على الرابط:
https//:www.elwatannews.com/news/details4147/

[١٠] بيتر النجار محامي متخصص في قضايا الأحوال الشخصية، **جريدة القاهرة الإلكترونية**، تم الاطلاع عليها يوم ٣١ يناير ٢٠٢٣، متاح على الرابط:
https//:www.cairo24.com1607489/

الفصل الرابع
نظرة الكتاب المقدس لقضية الطلاق

نظرًا لأن الكنيسة تتخذ موقف الكتاب المقدس من الطلاق أساسًا لتبني عليه حُجتها في وضع دستورها للأحوال الشخصية وموقفها من الطلاق، كان من المهم كبداية دراسة هذه الآيات التي تتخذها الكنسية مرجعًا للقانون الكنسي.

هناك موقفان فيهما تكلم السيد المسيح عن الطلاق:

الموقف الأول: في موعظة على الجبل:

(متى ٥: ٣١ و٣٢) "وَقِيلَ: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلاَق. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ لِعِلَّةِ الزِّنَى يَجْعَلُهَا تَزْنِي، وَمَنْ يَتَزَوَّجُ مُطَلَّقَةً فَإِنَّهُ يَزْنِي."

كما نجد هذه الوصية مذكورة في (لوقا ١٦: ١٨): "كُلُّ مَنْ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ وَيَتَزَوَّجُ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَكُلُّ مَنْ يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ مِنْ رَجُل يَزْنِي."

كما درسنا وتعلَّمنا، لكي نفسر الآية بصورة صحيحة، لا يجب أن نأخذ الآية مجردة من باقي الإصحاح، كما أننا لا بد أن نأخذ بعين الاعتبار السياق الحضاري وقت ذِكرها، والغرض من كتابتها، والمستمتع ولمَنْ هي موجهة. كل هذا يجعلنا نفهم الآية بصورتها الصحيحة وليس كما نريد أن نفهمها.

وبالتالي، في البداية، كي نفهم الموقف الذي ذُكرت فيه تلك الآية، علينا أن نعرف الجمهور الذي كان يسمع للسيد المسيح وقتها.

إن الجمهور المستمع كان "اليهود"، والذين كانوا يطبقون التشريع الموسوي في جميع جوانب حياتهم. والسؤال الذي يفرض نفسه حاليًا هو: ما هو التشريع الموسوي عن الطلاق؟

التشريع الموسوي عن الطلاق ذُكر في (تثنية ٢٤: ١): "إِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَتَزَوَّجَ بِهَا، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ لأَنَّهُ وَجَدَ فِيهَا عَيْبَ شَيْءٍ، وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلاَقٍ وَدَفَعَهُ إِلَى يَدِهَا وَأَطْلَقَهَا مِنْ بَيْتِهِ." لكن كان اليهود منقسمين لمذهبين بحسب تفسيرهم لكلمة "**عَيْبَ**":

مذهب المعلم هليل: كان يبيح الطلاق لأي سبب طالما أراد الزوج ذلك،[١١] وكان تفسيره لكلمة "عَيْبَ" بنطاق واسع وصل إلى أن بعضهم فسرها إن إفساد الزوجة للطعام، الحديث مع الزوج بصوت عالٍ... فمثل هذه السلوكيات هي "عَيْبَ" يعطي الحق للزوج تطليقها. بل يوجد مَنْ فسر جملة: "فَإِنْ لَمْ تَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ" بأنه إذا وجد الزوج امرأة أجمل من زوجته وأحبها يجوز له تطليق زوجته والزواج بهذه المرأة.[١٢]

---

[١١] سامي حنين، **المسيحية والطلاق أزمة بين حرفية النص والتطبيق**، (القاهرة: مطبعة سيوبرس، ٢٠١٠) ص ٥٦.

[١٢] فايز فارس، **زواج وطلاق المسيحيين بمصر بين النظرة المتزمتة وروح الغفران المسيحي**، (القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٨) ص ٣٢.

مذهب المعلم شمعون، وهذا المذهب فسر كلمة "عَيْبَ" بأنها تعني الزنا فقط[١٣] بل وذكر بعض الباحثين أن هذا المذهب هو متزمت الفكر حيث منع الطلاق نهائيًا.[١٤]

الأسباب التي من أجلها قال السيد المسيح هذا:

عند دراسة هذه الآية، من المهم أن ندرسها ضمن الإصحاح كله بل الموعظة كلها التي كانت من ضمنها هذا الجزء الخاص بالعلاقة بين الزوجين، حيث إن هذه الآية كانت ضمن سلوكيات كثيرة أوصى بها السيد المسيح في الموعظة على الجبل مثل: "قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ."

الموقف الثاني: حوار دار بين السيد المسيح والفريسيين حول الطلاق:

(متى ١٩:٣-١٠): "وَجَاءَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ لِيُجَرِّبُوهُ قَائِلِينَ لَهُ: «هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ لِكُلِّ سَبَبٍ؟» »فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟» وَقَالَ: «مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا .إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ». قَالُوا لَهُ: «فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلاَق فَتُطَلَّقُ؟» قَالَ لَهُمْ: «إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلكِنْ مِنَ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هكَذَا. وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ بِسَبَبِ الزِّنَا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي». قَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: «إِنْ كَانَ هكَذَا أَمْرُ الرَّجُلِ مَعَ الْمَرْأَةِ، فَلاَ يُوافِقُ أَنْ يَتَزَوَّجَ». فَقَالَ لَهُمْ: «لَيْسَ الْجَمِيعُ يَقْبَلُونَ هذَا الْكَلاَمَ بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُمْ»."

كما نجد هذا الموقف مذكورًا في (مرقس ١٠:١١)، حيث دار نفس الحوار السابق في متى ١٩ مع اختلاف رد السيد المسيح حول سبب الطلاق حيث قال: «مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي عَلَيْهَا».

مما سبق في هذه المواقف نجد ما يلي:

أولًا: في الموعظة على الجبل، كان غرض السيد المسيح هو وضع مبادئ نحاول أن نسعى لها، ولم يكن التركيز على الطلاق فقط، بل علينا أن ندرس الموعظة على الجبل كلها، ومحتواها: "قيل، سمعتم.... وأما أنا فأقول لكم..."، فالسيد المسيح لم يكن بصدد أن يضع تشريعًا أو قانونًا لحياتنا لكن كان هدفه هو وضع تعاليم توضح مشيئة الله التي يجب أن يسعى لها كل مؤمن.[١٥] ولم يكن الكلام يخص الحياة الزوجية فقط بل كان بصفة عامة حول الغضب، مفهوم الزنا، الصلاة، العطاء... وهذا ما نحتاج فهمه: أن السيد المسيح لم يكن يهتم بحرفية القانون قدر اهتمامه بجوهر الحياة المسيحية، ولهذا كان رد السيد المسيح على التلاميذ عند اعتراضهم على كلامه: "لَيْسَ الْجَمِيعُ يَقْبَلُونَ هذَا الْكَلاَمَ بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُمْ"، حيث قصد السيد المسيح بهذه الجملة أنه ليس الجميع يستطيع أن يعيش هذه الحياة، فقبول هذا الكلام يحتاج لمثالية وقوة وعلاقة عميقة مع الله.[١٦] أما الحرفية فيمكن التملص منها بابتكار وسائل قانونية كثيرة لأنهم لا يعيشون جوهر الإيمان ولا يهتمون به. لذا كان هدف السيد المسيح هو توضيح جوهر الإيمان لأنه كان يرغب في أن يجعل الإنسان يعيش في مستوى روحي عالٍ يتسامى عن أي ماديات وحب الذات، وبالتالي لم يكن

---

[١٣] المرجع السابق.

[١٤] المرجع السابق.

[١٥] فايز فارس، المرجع السابق. ص ٣٦

[١٦] إكرام لمعي، عزة سليمان، **الطلاق في المسيحية – إشكاليات وإحصائيات**، (القاهرة: مؤسسة مركز قضايا المرأة المصرية مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٦) ص١١.

واضعًا للشريعة والقوانين. وقد أوضح الدكتور القس إكرام لمعي هذه النقطة في كتابه:[١٧] "فالمسيح لم يقدم تشريعًا كموسى مثلًا لكنه أعطى مبادئ عامة، تُترجَم بعد ذلك إلى تشريع يختلف باختلاف المكان والزمان، فمثلًا عندما قال: سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن أما أنا فأقول لكم مَنْ ضربك على خدك الأيمن حوّل له الآخر أيضا. هذا ليس تشريعًا لكن طلب للصفح من المعتدى عليه لكي يصلح من أخلاقيات المعتدي، وهذا لا يصلح أن يكون تشريعًا في كل الحالات، مثل الخلاف مع شخص معنوي مثل شركة أو عمل حكومي... إلخ.

وهكذا في موضوع الطلاق، عاد السيد المسيح إلى النموذجي إذ قال إن هذا من البدء، لكن عند التطبيق يصطدم هذا النموذجي مع الواقع المعاش .فالسيد المسيح يقدم مبدأً أخلاقيًا أكثر منه تشريعًا قانونيًا.

ثانيًا: السيد المسيح كان غرضه هو السيطرة على الفوضى الفكرية نحو الطلاق الموجودة في ذلك الوقت، وكذلك الحفاظ على مكانة المرأة التي كانت محتقرة وقتها، حيث كان للرجل الحق في تطليقها لأي سبب وذلك بحسب مذهب المعلم هليل، حيث إنه من الواضح أن أغلبية اليهود اتجهوا لهذا المذهب بسبب عدم التزمت الفكري مثل مذهب المعلم شمعي. وهذا يتضح من رد التلاميذ على السيد المسيح: «إِنْ كَانَ هكَذَا أَمْرُ الرَّجُلِ مَعَ الْمَرْأَةِ، فَلاَ يُوافِقُ أَنْ يَتَزَوَّجَ!» حيث يبدو من دفاعهم هذا أنهم كانوا تابعين لمذهب هليل.

ثالثًا: في سفر التثنية، لم تُذكر كلمة زنا كسبب للطلاق، وذلك لأنه بموجب ناموس موسى كانت عقوبة الزنا هي الرجم حتى الموت، وبالتالي لم يكن هناك احتياج للطلاق لأن الزواج كان ينتهي بعقوبة الزاني بالرجم حتى الموت.[١٨] فالزنا كانت عقوبته الرجم حتى الموت وليس الطلاق.

رابعًا: لم يكن اهتمام السيد المسيح بذكر سبب الطلاق قدر اهتمامه بمثالية الحياة الزوجية كما وضعها الله منذ البداية، وهذا يتضح لنا من عدم ذكر السبب في (لوقا ١٦ ومرقس ١٠). لذا لا نستطيع أن نجزم أن السيد المسيح وضع سببًا واضحًا ومحددًا للطلاق وهو الزنا، وقد يكون هذا الأمر بسبب أن الزنا كانت عقوبته في ذلك الوقت هي الموت. لكن نستطيع الجزم أن رغبة السيد المسيح هي أن تحقق الحياة الأسرية الهدف الذي وضعه لها الله منذ الخليقة.

خامسًا: المثال الذي وضعه لنا السيد المسيح هو قبل السقوط وفساد الطبيعة، ولكن ماذا بعد سقوط الخليقة؟ ألم تتشوه الحياة الأسرية مثلها مثل أي مبادئ أخلاقية تشوهت بعد السقوط، حيث نالها الفساد الذي نال من المبادئ الأخلاقية قبل السقوط؟ فالإنسان لم يكن كما كان قبل السقوط بل أصبح في صراع دائم كي يعيش بحسب إرادة الله/ لكن بسبب الطبيعة الفاسدة يقع أسير فعل الشر كما قال بولس الرسول في رسالته لأهل (رومية ٧:١٨ و١٩): "فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ. لأَنَّ الإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي، وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ. لأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ، بَلِ الشَّرَّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ." ولا نستطيع أن نستبعد الحياة الزوجية من هذا الصراع وهذا الفساد، فالحياة الزوجية جزء أصيل من حياتنا وعلاقتنا وتعاملاتنا مع الآخر، لذا فإن هذه العلاقة لم تصبح كما كانت قبل السقوط (آدم وحواء) لكنها تشوهت بالطبيعة الفاسدة. والدليل هو ظهور فكرة الزواج بأكثر من امرأة رغم القانون الإلهي بالزواج من امرأة واحدة، وبالرغم من كسر هذه الوصية إلا أن الله لم يعاقب فاعلها بل باركه لأنه كان ينظر للقلب أكثر من سلوكيات تأثرت بالسقوط، ومثال لذلك يعقوب.[١٩]

---

[١٧] المرجع السابق، ص ١٢.

[١٨] مارتن لويد جونز، **الموعظة على الجبل**، ترجمة هدى بهيج، المحرر العام سامي فوزي، (القاهرة: سامي فوزي، ٢٠١٥) ص ٥٧.

[١٩] سنتكلم بالتفصيل عن هذه النقطة لاحقًا في البحث.

سادسًا: كان سؤال الفريسيين والكتبة له سؤال تجربة له كالعادة كي يقع في فخ اختيار مذهب من المذهبين فيهيج عليه أنصار المذهب الأخر، لذا كان رد السيد المسيح بعيدًا عن أي مذهب، حيث ركز على نقطتين:

الأولى: لم يكن الطلاق مخططًا له من البداية، فالله خلق حواء لآدم ليعيشا في الجنة قبل السقوط.

الثانية: الطلاق كان بسبب قساوة القلوب بعد السقوط، وهذا هو الحال حتى اليوم، فالعالم ما زالت من سماته وجود شخصيات مؤذية قاسية القلب.

سابعًا: واضع تشريع الطلاق كان الله ولم يكن موسى، والسبب هو قسوة القلوب، وهو حال لم يتغير لأننا ما زلنا في العالم بعد السقوط، لذا يجب ألا تتغير هذه الشريعة لأن واضعها هو الله، وإن تم إلغاؤها فهذا يعني أن السيد المسيح جاء لينقض شريعة موسى، وليس هذا فقط بل هو يعني أنه ينقض ذاته، وهذا الاتهام باطل لأن السيد المسيح نفى عن نفسه هذه التهمة في موعظته على الجبل والتي تكلم فيها عن مفهومه عن الزنا وموقفه من الطلاق: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ."[٢٠] وما ذكره في موعظة على الجبل حول قضية الطلاق كان مثله مثل باقي الوصايا المثالية التي تعكس تلك الصورة التي نحاول الوصول لها حتى نتقابل مع رب المجد في سماه: "وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ."[٢١] وإن كانت الكنيسة مصممة على التمسك بحرفية تنفيذ هذه الوصية فعليها أن تتدخل في كل الوصايا التي طالب بها السيد المسيح في الموعظة على الجبل بل ويتم محاكمة مَنْ لا يطبقها مهما كانت مكانته، مثل الحكم على كل مؤمن يغضب على أخيه ويقول له: "يا أحمق" بقلع عين المؤمن إن كانت سببًا في عثرته، وقطع يده إن كانت سببًا في عثرته، وأيضًا "لا تقاموا الشر بل مَنْ لطمكم على الخد الأيمن فحولوا له الآخر، مَنْ سخركم ميلًا فسخر نفسك له ميلين...!"

ثامنًا: لا بد من إدراك مفهوم الزنا عند السيد المسيح. إن الزنا عند السيد المسيح أعمق من مجرد زنا جسدي: "قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ." لذا إن ربطنا بين كلامه عن مفهومه للزنا وفكرة الطلاق لعلة الزنا، فسنجد أن الطلاق يتم بمجرد ما يشتهي الإنسان شخصًا آخر بخلاف شريك حياته،[٢٢] وليس فقط عند ممارسة الجنس معه. وبالتالي إما أن نأخذ حوار السيد المسيح عن الطلاق لعلة الزنا مع ربطه بتعريفه للزنا في هذه الفقرة بصورة حرفية أو نأخذ الاثنين بصورة روحية تخص جوهر الحياة المسيحية التي نسعى لها وليس كتشريع وقانون، ويكون دورنا هو السعي لحياة ترضيه في كل الجوانب وليس فقط فيما يتعلق بالطلاق!

قبل أن أُنهي نظرة الكتاب المقدس حول قضية الطلاق، دعونا نُلقي نظرة على الطلاق في رسالة كورنثوس الأولى الإصحاح السابع والأعداد من ١٠-١٥: "وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُونَ، فَأُوصِيهِمْ، لاَ أَنَا بَلِ الرَّبُّ، أَنْ لاَ تُفَارِقَ الْمَرْأَةُ رَجُلَهَا، وَإِنْ فَارَقَتْهُ، فَلْتَلْبَثْ غَيْرَ مُتَزَوِّجَةٍ، أَوْ لِتُصَالِحْ رَجُلَهَا. وَلاَ يَتْرُكِ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ. وَأَمَّا الْبَاقُونَ، فَأَقُولُ لَهُمْ أَنَا، لاَ الرَّبُّ: إِنْ كَانَ أَخٌ لَهُ امْرَأَةٌ غَيْرُ مُؤْمِنَةٍ، وَهِيَ تَرْتَضِي أَنْ تَسْكُنَ مَعَهُ، فَلاَ يَتْرُكْهَا. وَالْمَرْأَةُ الَّتِي لَهَا رَجُلٌ غَيْرُ مُؤْمِنٍ، وَهُوَ يَرْتَضِي أَنْ يَسْكُنَ مَعَهَا، فَلاَ تَتْرُكْهُ. أَنَّ الرَّجُلَ غَيْرُ

---

[٢٠] متى ٥:١٧-١٩.

[٢١] كورنثوس الثانية ٣:١٨.

[٢٢] سيندرج تحت هذا البند كل مدمن مواقع إباحية وممارس للعادة السرية التي تصاحبها تخيلات جنسية.

الْمُؤْمِنِ مُقَدَّسٌ فِي الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ غَيْرُ الْمُؤْمِنَةِ مُقَدَّسَةٌ فِي الرَّجُلِ. وَإِلاَّ فَأَوْلاَدُكُمْ نَجِسُونَ، وَأَمَّا الآنَ فَهُمْ مُقَدَّسُونَ. وَلكِنْ إِنْ فَارَقَ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ، فَلْيُفَارِقْ."

ردًا على مَنْ يتخذ هذه الأعداد للتأكيد على عدم الطلاق بين الزوجين، من المهم ملاحظة ما يلي فيها:

أولًا: الرسول بولس لم يناقش قضية الطلاق إلا في هذه الرسالة أما في باقي رسائله فهو يتكلم عن شكل الأسرة التي ترضي قلب الله، لكن قضية الطلاق لم يناقشها سوى مع هذه الكنيسة فقط وذلك لطبيعة الكنيسة نفسها، فعندما دخلت المسيحية كورونثوس لم يؤمن الجميع ومن هنا كان هناك عائلات آمن أحد الزوجين فيها بالمسيح وظل الآخر على ديانته، وظهرت مشكلة: هل يبقى الطرف الذي آمن مع شريكه أم يتركه؟ ومن هنا كانت أهمية الرد على هذا السؤال، فبولس هنا لا يتكلم عن قضية الطلاق لكنه يتكلم عن حالة خاصة تخص هذه البلاد، وبالتالي هو لا يضع تشريعًا عامًا للمؤمنين في الزواج والطلاق.[٢٣]

ثانيًا: لم يذكر بولس الزنا كسبب للطلاق لكنه وضع سببًا آخر لم يكن موجودًا من قبل وهو اختلاف الديانة. وهنا من المهم أن نقف عند جملة قالها بولس الرسول: "فَأَقُولُ لَهُمْ أَنَا، لاَ الرَّبُّ." لقد وضع بولس هذا السبب بعد دراسة الأحوال في ذلك الوقت ليكون مناسبًا لهذه الكنيسة، فهل نستطيع القول بأن بولس رسول الأمم خالف تعاليم السيد المسيح؟ أم أنه يعرف جيدًا أن الحرف يقتل بينما الروح يحيي، وأنه يمكن التغيير بحسب واقعنا واختلاف الظروف طالما أن هذا التغيير ليس خارج نطاق إيماننا وعقيدتنا المسيحية؟

[٢٣] سامي حنين، المرجع السابق، ص ٦١، ٦٩.

الفصل الخامس
قسوة القلوب ما زالت موجودة لأننا ما زلنا في عالم فاسد شرير

لأن الحياة الزوجية ليست بعيدة عن فساد العالم، فهناك شخصيات شريرة مؤذية هي ليست خائنة لكنها مؤذية تجعل الحياة معها مستحيلة، وعلى شريك الحياة أن يهرب منه كي ينقذ نفسه، وهذا طبيعي لأننا نعيش في مجتمع فاسد. وما سوف أذكره خلال السطور القادمة هو شكوى لكثير من حالات حقيقية تعيش في واقعنا – تمامًا مثل أهل كورنثوس – وتعاني من معاشرة شخصيات بهذه الصفات، وما سوف أذكره على سبيل المثال وليس الحصر:

أولًا: الاضطرابات الشخصية:

إن المشكلة الحقيقية في الاضطرابات الشخصية هي أن صاحب الاضطراب لا يرى نفسه صاحب مشكلة أو أنه يعاني من أي مرض بل يرى المشكلة في الآخر، لذا لا يسعى للعلاج[٢٤] وتصبح الحياة معه جحيمًا. ونحن بهذه التشريعات الجامدة نحكم على شريك حياته بالموت عندما لا نقبل أن يُطالب بالطلاق ولا نقبل حكم المحكمة التي ترفقت به وحكمت لصالحه بالطلاق، مع أن بعض هذه السلوكيات غير كتابية وقد حذَّر منها الكتاب المقدس. وفيما يلي بعض الحالات على سبيل المثال وليس الحصر:

١– اضطراب الشخصية النرجسية:

على الرغم أن من سماته الزنا، لكن بسبب ذكائه من الصعب أن يكشف شريكه خيانته، بل والأغرب أنه حتى لو كشفه فلديه القدرة على الكذب والتشكيك في الآخر وقلب الموازين تصل لمرحلة أن الآخر يكذِّب عينيه. ومن جانب آخر، يمارس النرجسي لعبة الإسقاط على شريك حياته حيث يُسقِط أنانيته فيصير شريكه هو الأناني الكاذب...الخ.[٢٥] وبالبحث عن سمات هذه الشخصية بشكل أكثر عمقًا، سنجد أن هذه العلاقة هي علاقة مؤذية حقًا ومن المستحيل الاستمرار فيها، وإصرار الكنيسة على التمسك بحرفية القانون دون النظر لمدى أذى هذا الاضطراب لشريك الحياة هو حكم بالموت عليه وهو مازال على قيد الحياة، مع العلم أن هذه الشخصية كسرت كل الوصايا الكتابية وبهذا كسرت العهد مع شريك الحياة، لكنها لم تكسره بحسب مفهوم الكنيسة.

٢– اضطراب الشخصية السيكوباتية:

هو من أصعب الاضطرابات ويطلق عليه الشر على الأرض، أو الشيطان في صورة إنسان،[٢٦] فهو معدوم الضمير يصطاد ضحيته بسهولة لأنه شديد الجاذبية وقادر على خداع الآخرين، كما أنه لا يشعر بالذنب رغم بشاعة أخطائه في حق الآخرين ولا يعرف الرحمة.[٢٧]

هذه الشخصية مدمرة لشريكها بمعنى الكلمة، فهي تستطيع أن تلبس قناع الملائكة أمام الآخرين وتخلعه مع شريكها والمقربين لها

---

[٢٤] ممدوحة محمد سلامة، **مقدمة في علم النفس**، (القاهرة: دار النصر للتوزيع والنشر) ص ٣٢٨.

[٢٥] عماد رشاد عثمان، أحببت وغدًا، (القاهرة: الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠١٩) ص ١٠٥.

[٢٦] عادل صادق، **مشكلات نفسية**، (القاهرة: ٢٠٠٩) ص١٤٤.

[٢٧] ممدوحة محمد سلامة، المرجع السابق، ص ٣٢٩.

وتمارس معهم كل أنواع الإساءة؛ متقلب المزاج؛ في غضبه يلجأ للضرب المبرح؛ سلوكياته شاذة من إدمان مخدرات، مثلية جنسية، اغتصاب، فهو زوج/ة فاشل، أب/أم فاشل لأنه لا يتحمل أي مسئولية، وأولاده معرضون للمرض والفشل الدراسي لأنه بخيل على أسرته لكنه كريم مع نفسه، ينفق ببذخ على ملذاته، وإذا كان عليه الاختيار بين إنفاق المال على علاج أولاده أو شريك حياته وبين ملذاته يختار ملذاته![٢٨] وعندما يكون السيكوباتي رجلًا فإنه يغتصب زوجته في العلاقة. في الحقيقة، مهما أسهبتُ في التكلم عن هذه الشخصية فلن أستطيع أن أسرد كل سلبياتها المؤذية. وبالرغم من كل هذه الصفات المؤذية التي تتنافى مع الوصايا الكتابية، لا يستطيع شريك حياته أن يتخلص منه ويبتعد عنه لأنه كي يفعل هذا عليه إثبات الزنا، أما كل الصفات المؤذية فلا تأخذ بها الكنيسة على الرغم أنها تكسر الوصايا الكتابية.

٢- اضطراب الشخصية السادية:

هي شخصية تستخدم كل الطرق العنيفة لفرض سيطرتها على الآخرين ليس لابتزازهم أو سرقتهم لكن الهدف هو شعور الشخص السادي بأنه هو المسيطر والأقوى في العلاقة. والعنف لديه ليس فقط عنفًا جسديًا لكنه يستخدم العنف النفسي من ذل وإهانة ويجد متعته أكثر إن قام بإهانة الآخر أمام الآخرين. كما أن شعور السادي بالمتعة يزداد كلما كان إيذاؤه للآخر مؤلمًا ويشاهد الألم بعينه، سواء كان ألمًا جسديًا أو معنويًا.[٢٩]

والسادي يستخدم كل أنواع العنف والسيطرة مع شريك حياته وأولاده، وإن اعترض أحد على طريقته نال من بطشه، فعنفه ليسن له حدود، لذا تخنع له أسرته خوفًا منه.

وإذا كان هذا أسلوبه بصفة عامة فكم بالحري من شريك حياته الذي يعيش معه حياة الذل والإهانة بصمت لأن الرعب الذي يسببه له السادي يصل إلى حد أنه يخاف أن يلجأ للمساعدة خوفًا من رد فعله غير المتوقع إن علم شريكه السادي بذلك. بجانب أن العلاقة الجنسية مع السادي تكون مؤلمة جدًا فهو لا يصل للمتعة الجنسية إلا عندما يرى شريكه يتألم،[٣٠] وكلما زاد ألمه في العلاقة كلما زادت متعة السادي.

٣- اضطراب الشخصية الحدية:

بعض ممن يعانون من هذا الاضطراب يقبلون اللجوء للطبيب للعلاج، ولكن المشكلة أنه يجب الاستمرار في العلاج للتخفيف وليس للشفاء النهائي من الاضطراب. وحتى في وقت العلاج فهو مرهق في التعامل. من سماته الاندفاعية في القرارات والسلوك من إنفاق، جنس، إدمان، قيادة متهورة للسيارات، شراهة في تناول الطعام، تقلب في المزاج. ونوبات غضبه عنيفة صعب الوقوف أمامها لأنها تكون مخيفة، ونوبات اكتئابه تصل لمحاولات انتحار وسلوكيات مؤذية لجسده. كل هذه السمات صعب التعامل معها لأنها مرهقة، وهذا ليس كلامًا أكاديميًا علميًا فقط لكنه خبرات من شخصيات تتعامل مع أشخاص يعانون من هذا الاضطراب بصورة مباشرة، سواء أحد الأبناء أو شريك الحياة. وهذا الاضطراب مؤذٍ جسديًا عندما تنتاب الشخص نوبات الغضب، حيث يكون عنيفًا ويمكن أن يلجأ للضرب أو تكسير ممتلكات في البيت مما يسبب ألمًا جسديًا أو نفسيًا للآخر بسبب مشاعر الخوف منه عندما يغضب، إلى جانب الشعور بعدم الأمان لأن غضبه يكون بصورة مفاجئة وبدون سبب واضح وعنفه في الغضب لا يمكن التكهن به. فهل يمكن أن تعيش الضحية مع مثل هذا الشخص إن هي أخطأت واختارته شريكًا لحياتها لمجرد أنه لم يزنِ؟!

---

[٢٨] عادل صادق، المرجع السابق، ص ١٥٤.

[٢٩] المرجع السابق.

[٣٠] المرجع السابق، ص ١٤٦.

وهكذا الكثير من الاضطرابات الشخصية التي من الصعب الحياة معها، مثل البارنويد، الهستيريا، الوسواس القهري، العدوانية السلبية... وغيرها من الاضطرابات الشخصية التي تؤذي شريك الحياة وتكسر الوصايا الكتابية في التعامل معه، لكن بحسب عُرف الكنيسة لا ينطبق عليه شرط الزنا، وعليه الاستمرار معه رغم معاناته معه.

ثانيًا: الأمراض النفسية:

بعض الأمراض النفسية يكون من الصعب التعامل معها، فهي تؤذي شريك الحياة سواء إيذاءً جسديًا أو نفسيًا. وبالتأكيد لن أتطرق لكل الأمراض النفسية المؤذية للآخر لكن سوف أتطرق لنوع من الأمراض النفسية وهو **مرض الضلالات:**

الضلالات هي اعتناق المريض لأفكار هي أوهام غير موجودة في الواقع، والمشكلة أنه يسلك بناءً على هذه الأفكار التي يكون من الصعب تغييرها.[٣١] لن أتطرق لكل أنواع الضلالات رغم خطورتها في التعامل، لكنني سوف أتطرق لنوع واحد من الضلالات التي تؤذي شريك الحياة بصورة مباشرة وهو "ضلالات الخيانة" أو الغيرة الوهمية"، وفيها يشكك المصاب في أخلاقيات شريك الحياة ويعتقد أنه غير مخلص له ويخونه وأن له علاقات متعددة. ويبدأ بالتصرف على هذا الأساس من خلال مراقبته وكثرة أسئلته وكلماته الجارحة واتهامه الصريح بالخيانة، ولو كان الزوج هو الذي يعاني من هذا المرض فإنه يحبس زوجته في البيت، ويلجأ للضرب وقد يصل الأمر للقتل.[٣٢]

فهل يمكن معاشرة مَنْ يعاني من هذا النوع من المرض؟ هل هو أقل ضررًا من الزنا؟ هل تعلم عزيزي القارئ مدى الأذى الذي يتعرض له شريك حياة يعاشر إنسان بمثل هذه الصفات؟ ألا يكسر بهذا كل الوصايا الكتابية الخاصة بعلاقته مع شريك حياته؟ ألا يهدم هذا النوع من العلاقة الهدف الذي لأجله خلق الله الأسر؟ ومع ذلك فإن شريك الحياة غير قادر على نيل حريته منه عن طريق الطلاق لأنه بحسب قانون الكنسية يجب معاشرته ولا يجوز طلب الطلاق في هذه الحالة لنه لم يزنِ!

وهكذا الكثير من الأمراض النفسية التي تصعب الحياة معها، فصاحبها يؤذي شريك حياته ويكسر الوصايا الكتابية في التعامل معه، لكن بحسب عُرف الكنيسة لا تنطبق عليه شرط الزنا، وعلى شريك حياته الاستمرار معه رغم معاناته معه.

هذا بجانب أنه توجد بعض الأدوية الخاصة بالأمراض النفسية التي تسبب برودًا جنسيًا عند المرأة وعجزًا عند الرجل، خاصةً أدوية مضادات الاكتئاب، وهذا يعمل على حرمان شريك الحياة من حقه في الإشباع الجنسي فيكون معرضًا لتجربة الشيطان. وهذا ما ذكره الكتاب وحذَّر منها: "لاَ يَسْلُبْ أَحَدُكُمُ الآخَرَ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى مُوافَقَةٍ، إِلَى حِينٍ، لِكَيْ تَتَفَرَّغُوا لِلصَّوْمِ وَالصَّلاَةِ، ثُمَّ تَجْتَمِعُوا أَيْضًا مَعًا لِكَيْ لاَ يُجَرِّبَكُمُ الشَّيْطَانُ لِسَبَبِ عَدَمِ تَزَاهَتِكُمْ" (كورنثوس الأولى ٧:٥)

وهنا يجد الطرف الآخر أنه محروم من أبسط حقوقه التي منحها له الله وفي نفس الوقت غير قادر على المطالبة بحقه الذي حرمه منه شريكه، ومع ذلك عليه التحمل لأن هذا السبب لا تعترف به الكنيسة بالرغم أن الكتاب المقدس كان حريصًا على توضيح تلك النقطة، وأوصى بعدم إهمال الفرد لإشباع شريك حياته لأن هذا واجبه. "لِيُوفِ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ حَقَّهَا الْوَاجِبَ، وَكَذلِكَ الْمَرْأَةُ أَيْضًا الرَّجُلَ" (كورنثوس الأولى ٧:٣)

ثالثًا: الإدمانات الجنسية:

وهي ممارسة العادة السرية، ومشاهدة المواقع الإباحية. لو قررت الكنيسة أن تسير بحسب وصية السيد المسيح لكان عليها أن

---

[٣١] نيفين سعد، **محاضرة الضلالات النفسية**، برنامج دبلومة في الإرشاد النفسي والمشورة الأسرية، (الإسكندرية: جوزيت، ٣٠ مارس ٢٠٠٩).

[٣٢] المرجع السابق.

تدرك معنى الزنا لديه، وهو: "وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ" (متى ٥:٢٨) كما سبقت الإشارة. وفي الواقع، مشاهدة المواقع الإباحية وممارسة العادة السرية هما تطبيق عملي لقول السيد المسيح وتعريفه للزنا.

فمشاهدة المواقع الإباحية تولِّد شهوة جنسية نحو مَنْ يقوم بالممارسات في الفيديو. والإثارة لن يكون سببها ملامسات شريك الحياة لكن المناظر بالفيديو.

أما العادة السرية فهي ناتجة من الإثارة الجنسية، وبالتأكيد الإثارة لا تأتي من فراغ بل من شهوة قلبية لتخيلات جنسية لشخص ما غير شريك الحياة.

وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا السلوك يجرح شريك الحياة الذي يشعر أنه غير مرغوب من شريكه جنسيًا، وأنه لا يشتاق له، فالنسبة لشريك الحياة هو يخونه بالفعل حتى إن كان هذا في خياله أو من خلال هذه الأفلام.

ومن هنا نجد أن هذا السلوك يتنافى مع الوصية الكتابية وخاصةً فيما يخص مفهوم الزنا، وعليه يجب أن يكون هذا البند من بنود الطلاق.

رابعًا: إدمانات الكحول والمخدرات:

الإدمانات تؤدي لتغيير الصفات وتحول الشخص لوحش في البيت؛ يضرب بدون وعي، يسرق أموال البيت، يمارس الجنس بصورة منفرة بغض النظر عن مشاعر شريكه... وللأسف لا يكون راغبًا في التعافي، وإن ذهب مؤسسة للتعافي لا يكمل الطريق ويهرب ويعود كما كان. فهل هو بهذا ينفذ وصية الله نحو شريك حياته أم يكسر الوصية؟ وبما أننا نتعامل مع حرفية الوصية، ألا يُعتبر هذا كسرًا للوصية الإلهية فيما يخص واجبه نحو شريك حياته وكسر للعهد بينه وبين شريكه لأنه لا ينفذ الوصية الكتابية فيما يخص واجبه ودوره نحوه؟!

خامسًا: السلوكيات الشاذة وغير الكتابية مع شريك الحياة:

توجد سلوكيات حذر منها الكتاب المقدس لكن الكنيسة لم تأخذها بعين الاعتبار عندما وضعت قوانين الطلاق، وهي على سبيل المثال لا الحصر:

١- الضرب: قد لا يكون الشخص مريضًا نفسيًا لكنه يضرب شريك حياته ويهينه، فيكون المطلوب هو التحمل والغفران، مع أن هذا السلوك غير كتابي أيضًا حيث أوصى الكتاب: "كَذلِكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ، كُونُوا سَاكِنِينَ بِحَسَبِ الْفِطْنَةِ مَعَ الإِنَاءِ النِّسَائِيِّ كَالأَضْعَفِ، مُعْطِينَ إِيَّاهُنَّ كَرَامَةً، كَالْوَارِثَاتِ أَيْضًا مَعَكُمْ نِعْمَةَ الْحَيَاةِ، لِكَيْ لاَ تُعَاقَ صَلَوَاتُكُمْ" (بطرس الأولى ٣:٧).

٢- الإهانة وعدم الاحترام: بعض الأزواج يشكون من عدم احترام زوجاتهم. والأصعب أن الزوج يشعر أن زوجته تحتقره وأنه قليل في نظرها، ويظهر هذا في سلوكياتها وطريقة تواصلها معه، وكثيرًا ما يكون هذا أمام أولاده، وأحيانًا يصل الأمر لأن تتعدى عليه أسرتها وتضربه... كل هذا والزوج عليه التحمل لأن الكنيسة لن تسمح له بالطلاق حيث أن زوجته لم تزن! بالرغم أن ما قامت ليس أقل من الزنا، فهي خالفت وصية الله لها في التعامل مع الزوج: "كَذلِكُنَّ أَيَّتُهَا النِّسَاءُ، كُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِكُنَّ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ لاَ يُطِيعُونَ الْكَلِمَةَ، يُرْبَحُونَ بِسِيرَةِ النِّسَاءِ بِدُونِ كَلِمَةٍ" (بطرس الأولى ٣:١)، وكذلك "وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَلْتَهَبْ رَجُلَهَا" (أفسس ٥:٣٣).

٣- ممارسة الجنس من خلال فتحة الشرج: تشكو بعض الزوجات من أن أزواجهن يصرون على ممارسة الجنس من خلال فتحة الشرج، وإن اعترضت يهددها الزوج بالخيانة والضرب والإهانة حتى ترضخ له. وهذا السبب لا يمنح الزوجة حق المطالبة

بالطلاق مع أنها ممارسة جنسية شاذة بل هي غير كتابية، حيث حذَّر منها الكتاب في رسالة (رومية ١:٢٧): "وَكَذلِكَ الذُّكُورُ أَيْضًا تَارِكِينَ اسْتِعْمَالَ الأُنْثَى الطَّبِيعِيَّ، اشْتَعَلُوا بِشَهْوَتِهِمْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، فَاعِلِينَ الْفَحْشَاءَ ذُكُورًا بِذُكُورٍ، وَنَائِلِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ جَزَاءَ ضَلاَلِهِمِ الْمُحِقَّ"، فهو يحذر من ترك الاستعمال الطبيعي مع المرأة واستبدالها بممارسة الجنس مع ذكور مثلهم والتي تكون من خلال فتحة الشرج. فالله لم يخلق هذا المكان للممارسة الجنس وحذَّر من عدم الاستخدام الطبيعي، ومع ذلك فإن الزوج لو طالب ممارسة الجنس بعيدًا عن الاستخدام الطبيعي تجد الزوجة نفسها تمارس الجنس قهرًا. والكنيسة التي وضعت قوانين الطلاق تحت بند "هكذا قال الكتاب" لم تأخذ في الاعتبار تلك السلوكيات غير الكتابية أيضًا في التعامل مع شريك الحياة.

٤- إجبار الزوجة على مشاهدة المواقع الإباحية: تشكو بعض الزوجات من أزواجهن الذين يجبروهن على مشاهدة المواقع الإباحية خلال الممارسة الجنسية. أليس هذا تشجيعًا على الزنا؟ أليس هو بذلك يطالب زوجته أن تزني مع ممثلي هذه الأفلام كما يفعل هو؟ حيث إن الإثارة نابعة من شخصيات غير شريك الحياة كما سبق وأشرتُ . فهل هذا الفعل يليق بالحياة الزوجية؟ هل على الزوجة أن تتحمل هذا السلوك لأنه ليس زنا فعليًا بحسب رؤية الكنيسة لا الله؟ ألا يذكِّرنا هذا الموقف بما قاله السيد المسيح حيث أدان الزوج الذي يجعل زوجته تزني عندما يتركها لرجل آخر؟ فالحال واحد رغم أن الفعل مختلف؛ الأولى طلقها وجعلها تتزوج بغيره، والثانية وهي زوجته يجعلها تزني بأن تُثار من رجل أخر غيره. بل أن الموقف الأول أفضل من الثاني، فعلى الأقل في الموقف الأول هي زوجة، بينما في الثانية هي في حضن الزوج لكنها مُثارة جنسيًا من رجل آخر. أهذا مقبول عند الكنيسة؟ ماذا لو جاءت زوجة للراعي تشكو له من هذه المشكلة؟ ماذا سيقول لها؟ هل سيقول لها: "تحملي" فيكون بهذا يشجعها على كسر وصية الله؟ أم سيقول لها: "ارفضي" فيكون بهذا يعرضها لبطش زوجها أو يكتفي زوجها بأن يشاهد هذه الفيديوهات بمفرده وتعيش الزوجة مع زانٍ من وجهة نظر السيد المسيح لكن ليس من وجهة نظر الكنيسة ولهذا عليها الاستمرار معه، بالرغم إنه كتابيًا كسر عهد الزواج بينهما؟

وهنا يسألني أحدهم: لماذا لا يدرس الشاب/ة هذه الشخصية جيدًا قبل قرار الزواج؟

للأسف من الصعب أن هذا يحدث، وذلك ببساطة لأن ما ذكرته من أمثلة لا يعرفها المرء إلا بعد الزواج، فمنها صفات لا تظهر إلا بالمعاشرة اليومية، ومنها صفات لا تظهر إلا بالمعاشرة الجنسية، ومنها الاضطرابات الشخصية المعروف أن صاحبها قادر على خداع ضحيته ثم يظهر على حقيقته بعد الزواج.

وأخيرًا: هل ما ذكرته من أمثلة هي صورة الحياة الأسرة التي نظمها الله؟ هل هذا هو هدف الله من الزواج؟ فإن كان الهدف ضاع وسط هذه السلوكيات وأصبح غير موجود فهل من الممكن أن نقول إن هذه أسرة مسيحية ترضي قلب الله وعلينا الحفاظ عليها؟ أم إنها بالفعل انتهت وما يربط الزوجين مجرد ورقة بسبب إصرار الكنسية عليها، لكن في الواقع لا يربطهما أي رابط آخر؟

إن العالم ما زال يعاني من قسوة القلوب التي أشار لها السيد المسيح. وعلى الرغم أن الله نفسه سمح بالطلاق في شريعة موسى لأنه عالم بقسوة قلوب البشر، لكن الكنيسة ترفض أن تستوعب هذه الفكرة، وهي بهذا الموقف أشبه بالفريسيين الذين أنهكوا الشعب بحرفية الشريعة التي يرفضها السيد المسيح الذي كان كثير الجدال معهم بسبب حرفيتهم هذه التي بلا روح وإيمان حقيقي ووصفهم بأنهم: "يَحْزِمُونَ أَحْمَالاً ثَقِيلَةً عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَيَضَعُونَهَا عَلَى أَكْتَافِ النَّاسِ، وَهُمْ لاَ يُرِيدُونَ أَنْ يُحَرِّكُوهَا بِإِصْبِعِهِمْ" (متى ٢٣:٤)

فهل آن الأوان لنتعلم من بولس الرسول الذي قرأ الواقع واختلاف الظروف وعلى أساس ذلك أجاز الطلاق بما يتناسب مع الواقع المحيط؟

الفصل السادس
أيهما أفضل لمستقبل الأطفال:
وجودهم وسط خلافات مستمرة بين والديهم أم طلاق والديهم؟

كان من المهم التطرق لهذه النقطة لتوضيح جميع الجوانب نحو هذه القضية، والسؤال المطروح في هذا الفصل هو:

هل من الصالح أن يعيش الأولاد وسط هذا الجو المشحون بالإهانات بين والديهم؟

قد تعتقد أن حياة الوالدين معًا رغم الخلافات أفضل للأبناء من الطلاق، وهذا فكر غير صحيح، فوجود زوجين ينفر كل منهما من الآخر، أو طرف مؤذٍ للآخر يؤذي الصحة النفسية للطفل، بينما انفصال كل منهما في مكان مختلف يخلق جوًا أهدأ ومناسبًا أكثر للطفل. بالطبع هو ليس هو الأفضل للطفل ولكنه أفضل من تواجده في جو مشحون بالمشاكل، حيث يكون الاختيار أحيانًا ما بين السيئ والأسوأ، وفي هذه الحالة نختار السيئ وذلك عندما يكتشف الزوجان أنهما غير قادرين على التحمل وأن حياتهما معًا جحيم، أو عندما يكتشف أحدهم أنه ضحية شخصية مؤذية، فيكون الحل هو الهروب من هذه الحياة ليحمي نفسه ويحمي أولاده.[٣٣]

فما هي الأضرار النفسية التي تحدث للطفل عند تواجده وسط والدين بينهما خلافات مستمرة وإهانات؟

- الأمراض النفسجسمانية: منها التبول اللاإرادي
- الانطوائية والانعزال من المجتمع
- العنف مع أقرانه
- الإحساس بالدونية
- التراجع الدراسي
- التشبه بأحدهم (حيث إن الاضطرابات الشخصية يمكن أن يتوارثها أحد الأطفال وتنمو بداخله وتزداد وتظهر في تعاملاته بسبب التربية وسط هذا الجو الغير صحي)
- الأذى النفسي والجسدي إذا كان أحدهم عنيفًا أو يعاني من أحد الاضطرابات الشخصية حيث إن هؤلاء يتسمون بممارسة العنف الجسدي والمعنوي ضد أطفالهم.

وغيرها من المشاكل النفسية التي يتعرض لها الطفل بسبب هذا الجو المشحون بالخلافات، وقد يصل الأمر لكراهيته لوالديه بسبب ما يعاني منه بسببهما.

[٣٣] فكما هو مذكور في الاضطرابات الشخصية فهو مؤذٍ لأولاده.

الفصل السابع
الفرصة الثانية حق لكل إنسان في كل جوانب حياته

في كل حياتنا مع المسيح أعطى لنا فرصة ثانية، ولم يمسك لنا يومًا سوطًا بسبب اختيارنا لطريق خطأ بل يعطينا الفرصة لتصحيح الخطأ ونبدأ من جديد. وحتى عند ارتكاب خطية فإن باب التوبة مفتوح لنا دائمًا لنبدأ حياة جديدة. ومع كل هذا نجد أن خطأ الارتباط بشريك حياة مؤذٍ يستمر مدى الحياة ولا يستطيع الشخص تصحيحه وليس له الحق في الحصول على فرصة أخرى ليبدأ من جديد.

أما فرصة التصحيح، فبحسب دستور الكنيسة لا بد أن تأتي بالفضيحة وتشويه السمعة، مما يؤثر على الأولاد ومستقبلهم، فيضطر المتضرر أن يصمت ويعيش كي لا يؤذي أولاده، فيضيع عمره هباءً في الحياة مع خائن بسبب قوانين بشرية قاسية مثل تقاليد الشيوخ لليهود التي رفضها السيد المسيح، كما هو واضح في الأعداد التالية:

(مرقس ٢:٢٣ –٢٧): "وَاجْتَازَ فِي السَّبْتِ بَيْنَ الزُّرُوعِ، فَابْتَدَأَ تَلاَمِيذُهُ يَقْطِفُونَ السَّنَابِلَ وَهُمْ سَائِرُونَ. فَقَالَ لَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ: «انْظُرْ! لِمَاذَا يَفْعَلُونَ فِي السَّبْتِ مَا لاَ يَحِلُّ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ مَا فَعَلَهُ دَاوُدُ حِينَ احْتَاجَ وَجَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ؟ كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللهِ فِي أَيَّامِ أَبِيَأَثَارَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، وَأَكَلَ خُبْزَ التَّقْدِمَةِ الَّذِي لاَ يَحِلُّ أَكْلُهُ إِلاَّ لِلْكَهَنَةِ، وَأَعْطَى الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ أَيْضًا». ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لأَجْلِ الإِنْسَانِ، لاَ الإِنْسَانُ لأَجْلِ السَّبْتِ».

(مرقس ٧:١–٩).

"وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ وَقَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ قَادِمِينَ مِنْ أُورُشَلِيمَ. وَلَمَّا رَأَوْا بَعْضًا مِنْ تَلاَمِيذِهِ يَأْكُلُونَ خُبْزًا بِأَيْدٍ دَنِسَةٍ، أَيْ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ، لاَمُوا. لأَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ وَكُلَّ الْيَهُودِ إِنْ لَمْ يَغْسِلُوا أَيْدِيَهُمْ بِاعْتِنَاءٍ، لاَ يَأْكُلُونَ، مُتَمَسِّكِينَ بِتَقْلِيدِ الشُّيُوخِ. وَمِنَ السُّوقِ إِنْ لَمْ يَغْتَسِلُوا لاَ يَأْكُلُونَ. وَأَشْيَاءُ أُخَرَى كَثِيرَةٌ تَسَلَّمُوهَا لِلتَّمَسُّكِ بِهَا، مِنْ غَسْلِ كُؤُوسٍ وَأَبَارِيقَ وَآنِيَةِ نُحَاسٍ وَأَسِرَّةٍ. ثُمَّ سَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ: «لِمَاذَا لاَ يَسْلُكُ تَلاَمِيذُكَ حَسَبَ تَقْلِيدِ الشُّيُوخِ، بَلْ يَأْكُلُونَ خُبْزًا بِأَيْدٍ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ؟» فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «حَسَنًا تَنَبَّأَ إِشَعْيَاءُ عَنْكُمْ أَنْتُمُ الْمُرَائِينَ! كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: هذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا، وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ. لأَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ وَتَتَمَسَّكُونَ بِتَقْلِيدِ النَّاسِ: غَسْلَ الأَبَارِيقِ وَالْكُؤُوسِ، وَأُمُورًا أُخَرَ كَثِيرَةً مِثْلَ هذِهِ تَفْعَلُونَ». ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «حَسَنًا! رَفَضْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ لِتَحْفَظُوا تَقْلِيدَكُمْ!»

من هذا الحوار، نتعلم من السيد المسيح كيف تتعامل الكنسية مع رعاياها، فالسبت هو الذي خُلق لأجل الإنسان وليس العكس. ونلاحظ المثل الذي ذكره السيد المسيح: "فَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ مَا فَعَلَهُ دَاوُدُ حِينَ احْتَاجَ وَجَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ؟ كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللهِ فِي أَيَّامِ أَبِيَأَثَارَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، وَأَكَلَ خُبْزَ التَّقْدِمَةِ الَّذِي لاَ يَحِلُّ أَكْلُهُ إِلاَّ لِلْكَهَنَةِ، وَأَعْطَى الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ أَيْضًا»"

لقد أكل داود من خبز التقدمة الذي لا يحل إلا للكهنة، لكن الله لم يعاقبه لأنه يتعامل مع القلوب ويدرك الاحتياجات الإنسانية. وطالما أن اتجاه قلب الإنسان هو أن يعيش حياة ترضي الله لا يقف الله بالعصا ليؤدب الإنسان على سلوكيات فيها كسر لتقاليد وليس جوهر الإيمان المسيحي، وهذا ما فعله بولس مع كنيسة كورنثوس حيث وضع سببًا آخر للطلاق غير الزنا.

والأغرب أن السيد المسيح كان يدافع عن كسر التلاميذ ليوم السبت الذي يمثل ضمن الوصايا العشر، لكن لأنه يعلم قلب الآب لا يجد هنا كسرًا للوصية، حيث إنه من وجهة نظر الله لا يهم ما يدخل الجوف لكن الذي يخرج من الإنسان: "لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَارِجِ الإِنْسَانِ إِذَا دَخَلَ فِيهِ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ، لكِنَّ الأَشْيَاءَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الإِنْسَانَ" (مرقس ٧:١٥).

الله هو إله الفرصة الثانية في كل السلوكيات، ولأنه يعلم قسوة قلوب البشر ويدرك أن الإنسان مُعرض لاختيار شريك حياة مؤذٍ وتصبح الحياة بينهما مستحيلة فقد منح الطلاق كي يعطيه فرصة ثانية.

الله لا يتعامل مع البشر بالطريقة التي نتعامل فيها نحن البشر مع الآخرين، فهو يرى القلب. وكمثال لذلك، على الرغم من قانون الزوجة الواحدة لكن يقول الكتاب أن الله شهد بأن قلب داود مثل قلبه، وداود تزوج عدة نساء، وكذلك سليمان، يعقوب وغيرهم من الشخصيات التي كانت قريبة من الله رغم زواجها من أكثر من زوجة.

والسؤال هنا هو: ما هو تأثير عدم تواجد فرصة ثانية للإنسان والاستمرار في زواج فاشل؟

- البعض يشعر بالظلم من الله ويبتعد عنه.
- البعض يتهم نفسه زورًا بالزنا كي يتخلص من الزيجة الفاشلة.
- البعض يقوم بتغيير ديانته ويترك المسيحية ليتخلص من زيجته.
- البعض يدعي كذبًا اختلاف الملة.
- البعض يعيش حياة زنا في الخفاء إما انتقامًا من شريكه، أو لإشباع ذاته بطريقته طالما أن الكنيسة سلبت منه هذا الحق بتشريعها الجامد.

وفي جميع الحالات، نجد أن هناك ظلم بيّن له لأن الكنيسة – لا الله – رفضت أن تمنحهم فرصة ثانية. وهنا أتذكر عندما أنكر بطرس السيد المسيح لكن السيد المسيح لم يحكم عليه بالموت بل منحه فرصة ثانية، وبسبب الفرصة الثانية استطاع أن يربح ٥٠٠٠ نفس من أول وعظة قدمها.

الفصل الثامن
ما هو دور الكنيسة المطلوب لكي تكون فعالة وسط الأسرة؟

إن تمسك الكنيسة بسلطتها في تشريع الطلاق والزواج ظنًا أنها بهذا تحمي الأسر يؤدي للعكس، فهو يؤدي للكذب واللجوء لطرق خاطئة للتخلص من هذه الزيجة التعيسة.

لذا على الكنيسة أن تهتم بالبنية التحتية، أي الحالة الروحية لرعاياها، وتتخذ من السيد المسيح مثالًا في التعامل مع البشر. لقد كان السيد المسيح يعلم فساد العالم بعد السقوط وتغيير القانون الأزلي الذي وضعه الله في البداية بين آدم وحواء، وكان يُقدِّر ضعفات البشر، وكان يعمل طوال الوقت على غرس جوهر الحياة الإيمانية، وهناك عدة أمثلة لذلك كما ذكرتُ ومنها:

قانون الزوجة الواحدة: ماذا عن يعقوب وداود وسليمان وغيرهم من الذين تزوجوا أكثر من امرأة؟ كيف كان الله يصفهم؟ وما هي علاقته بهم؟

داود الذي أكل من خبز الكهنة وهو والذين كانوا معه: كيف تعامل الله معهم؟ هل عاقبهم؟ وما هو موقف السيد المسيح عندما ذكر هذا كمثل للفريسيين؟

والكثير من القضايا التي لها رأي واضح في الشريعة لكن لأن الله يعلم ضعفات البشر ويعلم فساد العالم الذي بسببه تشوهت صورة العلاقات الإنسانية فقد كان يرى محاولات القلب لإرضائه، وتعامل مع البشر بحسب اتجاه القلب وليس بحسب سلوكيات خاصة بالمجتمع وفساد عالم.

فالكنيسة هي الطريق لمعرفة الناس عن محبة الله لهم، وهي الملجأ وقت الألم والتعب، يلجأ لها الحائرون في حياتهم ليجدوا عندها خريطة الطريق الصحيح والإجابة على أسئلتهم، يحتمي فيها المتألمون ليجدوا فيها العزاء. فكيف بعد كل هذا تتجاهل الكنيسة احتياجات رعاياها وتتمسك بحرفية القانون؟

فدور الكنيسة هو: الإرشاد، التعليم، البناء، التلمذة، ربح النفوس التائهة، الاهتمام بتربية الأطفال والمراهقين تربية مسيحية حقيقية، توعية الأزواج بأدوارهم. وإن قامت الكنيسة بهذا الدور فسيقلل هذا بدوره التفكك الأسري وسوف تحافظ على الأسرة بصورة حقيقية وليس كمظهر فقط.

أما من حيث الدور التشريعي، فعليها أن تُقيم شخصيات لديها من الخبرة ما يكفي لوضع مثل هذه التشريعات، والخبرة هنا مقصود بها خبرة في مجال المشورة، القانون، الطب النفسي... كي يكون حكمهم صحيحًا، وبذلك يكونون مثل السيد المسيح وبولس الرسول مترفقين بالشعب واعيين بالواقع الذي يرفض التغيير بدون المساس بالجوهر المسيحي.

الخاتمة

ليس المقصود من البحث التشجيع على الطلاق مطلقًا، لكن المقصود من البحث أن نشعر بهؤلاء المنكوبين الذين تورطوا في زيجات مؤذية وهم غير قادرين على التخلص منها، لأن الكنيسة حصرت الطلاق في سبب الزنا الجسدي، وكأن العلاقة بين الزوجين جوهرها هو العلاقة الجنسية، مع أن مفهوم الجسد الواحد أشمل وأعم من هذا الفكر ضيق الأفق، فالجسد الواحد شبهه الكتاب المقدس بالكنيسة: "لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ، كَذلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضًا... لاَ تَقْدِرُ الْعَيْنُ أَنْ تَقُولَ لِلْيَدِ: «لاَ حَاجَةَ لِي إِلَيْكِ!». أَوِ الرَّأْسُ أَيْضًا لِلرِّجْلَيْنِ: «لاَ حَاجَةَ لِي إِلَيْكُمَا!» بَلْ بِالأَوْلَى أَعْضَاءُ الْجَسَدِ الَّتِي تَظْهَرُ أَضْعَفَ هِيَ ضَرُورِيَّةٌ. وَأَعْضَاءُ الْجَسَدِ الَّتِي نَحْسِبُ أَنَّهَا بِلاَ كَرَامَةٍ نُعْطِيهَا كَرَامَةً أَفْضَلَ. وَالأَعْضَاءُ الْقَبِيحَةُ فِينَا لَهَا جَمَالٌ أَفْضَلُ. وَأَمَّا الْجَمِيلَةُ فِينَا فَلَيْسَ لَهَا احْتِيَاجٌ. لكِنَّ اللهَ مَزَجَ الْجَسَدَ، مُعْطِيًا النَّاقِصَ كَرَامَةً أَفْضَلَ، لِكَيْ لاَ يَكُونَ انْشِقَاقٌ فِي الْجَسَدِ، بَلْ تَهْتَمُّ الأَعْضَاءُ اهْتِمَامًا وَاحِدًا بَعْضُهَا لِبَعْضٍ فَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ. وَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يُكَرَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَفْرَحُ مَعَهُ" (كورنثوس الأولى ١٢:١٢ – ٢٦).

هذه هي سمات الجسد الواحد كما هو مذكور في هذا الشاهد:

– كرامة لكل الأعضاء بغض النظر عن الشكل والوظيفة.

– كل عضو يكمل نقص العضو الآخر.

– كل الأعضاء تهتم اهتمامًا واحدًا بعضها ببعض.

– الاحتياج للآخر فلا يستطيع عضو أن يعيش بدون باقي الأعضاء.

هذا هو معنى مفهوم الجسد الواحد الأوسع والأشمل، وليس هذا فقط بل أن العلاقة الزوجية قد شبهها الكتاب المقدس بعلاقة السيد المسيح بالكنيسة – الجسد الواحد – وذلك في رسالة (أفسس ٥:٢٤-٢٦): "وَلكِنْ كَمَا تَخْضَعُ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ، كَذلِكَ النِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ. أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا." وهذه الآيات تشرح نفسها وتوضح عمق العلاقة بين الزوجين التي تتجاوز كونها مجرد علاقة جنسية تنكسر بزنا أحدهما. فبحسب مفهوم الجسد الواحد في الكتاب المقدس، نجد أن أي سلوك خارج إطار الوصية الكتابية للأسرة هو كسر للعهد بين الزوجين، فالعلاقة بينهما ليست عقدًا لكنها عهد ينكسر بكسر وصية الله للعلاقة بين الزوجين.

وعليه، يجب وضع كل الوصايا الكتابية الخاصة بهذه العلاقة وأي كسر في أحدها يُعتبر كسرًا للعلاقة لأنه كسر لمبدأ فيها.

ولذلك لا يجب أن تكون الكنيسة جهة تشريعية فقط، بل يجب أن يكون دورها أعمق وأهم من هذا:

أولًا: دور تعليمي:

١– البداية مع الأطفال: بتعليمهم كيف يطيعون كلمة الله عن حب وليس خوف.

٢– تعليم المراهق كيف يحترم مشاعره ويحترم الجنس الآخر، وكيف يعمل على ضبط النفس وليس الكبت مما يجعله مؤهلًا للتعامل مع شريك الحياة باحترام رغبات الآخر وعدم الأنانية.

٣- تعليم الشباب كيف يحترمون مفهوم الجسد الواحد وكيف يعيشون الحياة مع شريك الحياة بحسب وصية الله، وأن تكون هذه الخطوة قبل الارتباط لتوعية الشباب

٤- الاهتمام بتلمذة الشباب روحيًا ونفسيًا قبل الإقدام على خطوة الزواج.. فكثير من الشباب تكون مشكلتهم هي عدم التوازن النفسي حيث يعانون من المشاكل النفسية من الدونية، الخجل، الجوع للحب... كل هذه المشاكل تسبب مشاكل في العلاقات بصفة عامة، وتؤثر في اختيار شريك الحياة بصورة خاصة.

٥- الاهتمام بتوفير محاضرات للأسر، سواء في التعامل معًا كزوجين، أو في تربية الأطفال، حيث إن التربية الخاطئة تؤدي لمشاكل في شخصيته وبالتالي تؤدي إلى الاختيار الخطأ.

ثانيًا: دور إرشادي:

من المهم توفير مشيرين ذوي خبرة للتعامل مع المشاكل الأسرية بصورة صحيحة، فليس المطلوب خراب البيوت، ولا هذا هدف الكنيسة، لكن من المهم إجراء المحاولات مع الزوجين، فكثير من المحاولات تكون لها نتائج إيجابية وتؤدي إلى النجاح في عودة العلاقات كما كانت، بل في بعض الحالات برغم من خيانة أحد الشريكين لكن بعد جلسات مشورة تعافى الطرف المجروح وقرر الغفران وعادت بينهما الحياة.

لذا فوجود مشيرين ذوي خبرة ودراسة أكاديمية في الكنيسة أمر هام لتقوم بهذا الدور.

ثالثًا: لجنة لدراسة الحالة:

هذه اللجنة تقدم لها ملفات الأسر التي تطالب بالطلاق، ويجب أن تضم هذه اللجنة: استشاريًا نفسيًا، طبيبًا نفسيًا، محاميًا، راعيًا، كما يجب أن تضم رجالًا ونساءً، وكذلك أعمارًا مختلفة، وأن يكون مشهودًا للجميع بأمانتهم في خدمتهم وحياتهم الشخصية وتربية وأولادهم تمامًا كما طلب بولس من تيموثاوس وتيطس.

هذه الفئات المختلفة مهمة حتى تدرس الحالة من جميع الزوايا وكذلك تلم بكل ما يلامس اختلاف الواقع مع عدم المساس بجوهر المسيحية، وعدم حرفية القانون لكن روحه.

دور هذه اللجنة:

١- تقوم بأكثر من جلسة مشورة مع طالبي الطلاق.

٢- بعد هذه الجلسات ودراسة الأوراق الموجودة أمام أعضائها يكون قرارهم بعيدًا عن حرفية القانون لكن كما سلك بولس، فالله أعطى لنا مساحة من التفكير والتمييز، وقد استخدم بولس هذه المساحة مع كنيسة كورنثوس.

أخيرًا.. أريد أن أؤكد أن التمسك بحرفية القانون لا يساعد في حل المشكلات الأسرية، بل يضع الزواج في مكانة أقل من المكانة التي وضعها الكتاب المقدس لها. فكيف تسمح الكنيسة بإجبار اثنين على الاستمرار معًا تحت مبدأ التمسك بحرفية الشريعة، غير مبالية بسمو هذه العلاقة فقط لكي يكون الشكل العام للكنيسة هو أنها تنفذ وصية الله؟ فهي بهذا أشبه بالفريسيين، حيث غن العلاقة الزوجية علاقة حب وعطاء وتضحية... فكيف نحكم مثل هذه العلاقة بهذا التشريع الجامد؟ فالكنيسة بهذا لا تسير وفقًا لنهج السيد المسيح الذي كان يتعامل مع البشر بمحبة ومرونة وتقدير للظروف والتغييرات الزمنية.

وهنا على الكنيسة أن تختار بين أن تكون مرنة مع رعاياها وتتفهم المشاكل الأسرية بصورة صحيحة وتقوم بكل دورها قبل

إصدار أي حكم أو أن تترك هذا الأمر لتشريع البلاد في هذه المواقف. وهذا ما تقوم به البلاد الأخرى المختلفة عن مصر، وليس فقط البلاد الغربية، لكن هناك بلاد ناطقة باللغة العربية لكنها لا تطبق هذا النظام المطبق في الكنيسة المصرية. وهذا يدل أن هذا القانون ليس تشريعًا إلهيًا لكنه بشري، أي "تقليد الشيوخ" الذي تكلم عنه السيد المسيح مع اليهود.

ولا يجب أن تخشى الكنيسة من الفوضى الأسرية ومن أن تزداد حالات الطلاق، فلا يوجد إنسان يرغب في خراب البيت. هذا بجانب أن الممنوع منه مرغوب فيه. فقط على الكنيسة أن تهتم بتلمذة رعاياها، وتترك حرية اختيار الاستمرار في الحياة مع شريك الحياة لصاحب القضية هو أكثر إنسان يعلم بحاله وظروفه وقدرته على التحمل، هذا بخلاف حق كل إنسان في الفرصة الثانية، تلك الفرصة التي منحها الله لنا كبشر.

المراجع

النجار، بيتر. محامي متخصص في قضايا الأحوال الشخصية، **جريدة القاهرة الإلكترونية**، تم الاطلاع عليها يوم ٣١ يناير ٢٠٢٣، متاح على الرابط:

https//:www.cairo24.com1607489/

حنين، سامي. **المسيحية والطلاق أزمة بين حرفية النص والتطبيق**، (القاهرة: مطبعة سيوبرس، ٢٠١٠).

دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر، (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٥-٢٠١١-٢٠١٩).

رشاد عثمان، عماد. **أحببتُ وغدًا**، (القاهرة: الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠١٩).

سعد، نيفين، **محاضرة الضلالات النفسية**. برنامج دبلومة في الإرشاد النفسي والمشورة الأسرية، (الإسكندرية: جوزيت، ٣٠ مارس ٢٠٠٩).

شوق، أشرف، **الزواج والطلاق في المسيحية**، (القاهرة: نظرة للمستقبل، ٢٠٠٨).

صادق، عادل. مشكلات نفسية، (القاهرة: ٢٠٠٩).

صلاح، عيد. **مقابلة** (يوم ٦ فبراير٢٠٢٣).

فارس، فايز. **زواج وطلاق المسيحيين بمصر** – بين النظرة المتزمتة وروح الغفران المسيحي، (القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٨).

فاروق، رفيق. رئيس رابطة "٣٨"، **جريدة الوطن الإلكترونية**، تم الاطلاع عليها يوم ٣١ يناير ٢٠٢٣، متاح على الرابط:

https//:www.elwatannews.com/news/details4147/

قانون المجلس العمومي الإنجيلي "للطوائف الإنجيلية"، (القاهرة: الديار المصرية، ١٩٠٢).

لويد جونز، مارتن. **الموعظة على الجبل**، ترجمة هدى بهيج، المحرر العام سامي فوزي، (القاهرة: سامي فوزي، ٢٠١٥).

لمعي، إكرام، عزة سليمان. **الطلاق في المسيحية** – إشكاليات وإحصائيات، (القاهرة: مؤسسة مركز قضايا المرأة المصرية مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٦).

محمد سلامة، ممدوحة. **مقدمة في علم النفس**، (القاهرة: دار النصر للتوزيع والنشر).